[٢]

تنبيه الإخوان على الأخطاءِ في مَسألةِ خلقِ القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنَا مُحمَّد وعلىٰ آلِهِ وأَصْحابِهِ ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلىٰ يَوم الدِّينِ.

❑ **أمَّا بعدُ:**

فَقَد رَأَيْتُ رِسَالةً للشيخ عبد الفَتَّاح أبي غُدَّة(١)، سمَّاها «مَسْألة خَلْق القُرْآن وأثَرها في صُفوفِ الرُّواةِ والمُحدِّثينَ وكُتُبِ الجَرْحِ والتَّعْديل»؛ وفي هذه الرِّسالة أقْوالٌ غَيْر مَقْبولةٍ، بَل فيها أقْوالٌ من أقْوالِ الجَهْميَّةِ(٢).

---

(١) هو عبد الفتاح بن محمد بن بشير بن حسن أبو غدة الخالدي الحلبي الحنفي، ولد في مدينة حلب شمال سورية في السابع عشر من رجب من سنة (١٣٣٦هـ- ١٩١٧م)، وتوفي فجر يوم الأحد (٩ شوال ١٤١٧هـ) الموافق (١٦ فبراير ١٩٩٧م) عن عمر يُناهز الثمانين عامًا، وقد تأثر بشيخه الكوثري في العقيدة الأشعرية والماتريدية، كما كان من المتعصبين لمذهب الأحناف.

وقال عنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ **-في مقدمة «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٩)-:** «هو الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحنفي الحلبي، المعروف بشِدَّة عدائه لأهل السنة والحديث، لاسيما في بلده (حلب) حين كان يخطب علىٰ منبر مسجده يوم الجمعة ويستغله للطعن في أهل التوحيد المعروفين في بلده بالسلفيين خاصة، وفي أهل التوحيد السعوديين وغيرهم الذين ينبزهم بلقب الوهابية عامة، ويعلن عداءه الشديد لهم، ويصرح بتضليلهم... فيقول مِن علىٰ المنبر: (إن هؤلاء الوهابيين تتقزز نفوسهم أو تشمئز حينما يُذكر اسم محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم) سبحانك هذا بهتان عظيم».

(٢) الجهمية من الفرق المنتسبة إلىٰ الإسلام، ترجع نسبتها إلىٰ الجهم بن صفوان، ومن عقائدهم =

ولمَّا كانتْ هذهِ الأقْوال قد تَخفَىٰ عَلىٰ بَعْضِ طَلَبَةِ العِلم رَأيْتُ أنَّهُ يَتأكَّد التَّنبيه عَلَيْهَا؛ لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِها بَعضُهم، واللهُ المَسئول أن يَعصِمني مِنَ الزَّلَلِ، وأَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِخواني المُسلمينَ لِمَا يُحبُّه ويَرضَاهُ مِنَ الأقوالِ والأعْمِال؛ إنَّه وَلِيُّ ذَلك والقَادِرُ عَلَيْه.

فَمِن ذَلك: أنَّه ذَكَرَ القَوْلَ بِخَلْقِ القُرآن، ثُمَّ قَال في صَفحة (٦):

«وَقد ظَهَرَتْ هذه الفِتْنَةُ بَعْضَ الظُّهُورِ في زَمَنِ الإمام أبي حَنِيفة، فَقَال فيها قَوْلًا فَصْلًا، وَرَدَّ عَلىٰ نَاشِرِيها فَأَسْكَتَهُم إلىٰ حِين»(١).

وأَقُولُ: لَا يَخفىٰ علىٰ مَنْ لَهُ فَضْل اطِّلَاع ما في هذا الكَلام مِنَ المُبَالَغَة في المَدحِ بِمَا لا حَقيقةَ لَهُ، وَقد رَأيْتُ عَدَدًا مِنَ الكُتُبِ التي ذُكِرَ فيها الرَّد علىٰ الجَهْمِيَّة، وَمَا رَأَيْتُ أحدًا مِن أَهْلِ السُّنَّةِ ذَكَرَ عَن أبي حَنيفَة أنَّه ردَّ علىٰ الجَهْمِيَّة بشيءٍ، فَضْلًا عَن أنْ يَكون قال قَوْلًا فصْلًا أَسْكتَ به الجَهْمِيَّة الذين نَشَروا فِتْنَةَ القَوْل بخَلْقِ القُرآن.

فَأمَّا ما ذَكَرهُ الكَوْثَري(٢) عن أبي حَنيفة، فَسَيأتي الكَلامُ عَليْه إنْ شَاء اللهُ تَعالىٰ،

=

إنكار الأسماء والصفات، والجبر والإرجاء، وإنكار الصراط، والميزان، ورؤية الله تعالىٰ، وعذاب القبر، والقول بفناء الجنة والنار، ونفي صفة الكلام، والقول بخلق القرآن.

(١) بدعة القول بخلق القرآن الصواب أن أول ظهور لها علىٰ يد الجعد ثم الجهم علىٰ الراجح، ويقال: إن أول من قال بخلق القرآن: غيلان الدمشقي المقتول سنة (١٠٥)، لكن لم تُعلن هذه البدعة وتشتهر إلىٰ حين قال بها وأعلنها الجعد بن درهم والجهم بن صفوان.

(٢) هو: محمد زاهد بن حسن بن علي بن خضوع بن باي بن قانيت بن قنصو، الجركسي، الكوثري، ولد يوم الثلاثاء ٢٧ أو ٢٨ من شوال سنة (١٢٩٦)، وكان من أشد الناس تعصبًا

=

وفي صَفْحة (٧) نَقَلَ المُؤلِّفُ عنِ الكَوْثَري أنَّهُ قال:

«وَلم يَحِل قَتْل جَهْم دُون ذيوع رَأيه في القُرآن، فَافْتتنَ بِهِ أُنَاس فَشَايَعَهُ مُشايعون، ونافَرهُ مُنافِرون؛ فَحَصلت الحَيْدَةُ[1] عن العَدلِ إلىٰ إفْراطٍ و تَفريطٍ من غَيْر مَعْرِفَة كَثير مِنْهُم لِمَغْزَىٰ هَذا المُبتَدِع؛ أُنَاس جَاروه في نَفْي الكَلامِ النَّفْسي، وأُنَاس قالوا في مُعاكَسَتِهِ بِقِدَمِ الكَلام اللَّفْظِي».

=

للمذهب الحنفي، وكان من لوازم ذلك إساءته إلىٰ العلماء.

قال الشيخ المعلمي في طليعته «التأنيب» (ص٩): «إن الكوثري -بتعصبه هذا- أساء جدًّا حتىٰ إلىٰ الإمام أبي حنيفة رحمه الله ورضي عنه، ومع تعصب الكوثري لمذهبه ومغالاته فقد كان فيه انحراف في المعتقد وعدول عن منهج السلف، وانحياز إلىٰ مذهب الجعد والجهم، وميول إلىٰ الاعتزال».

وقال الشيخ بكر أبو زيد في «براءة أهل السنة» (ص٦): «إن الكوثري اجتمعت فيه أمراض متنوعة: من التقليد الأصم، والتمشعر بغلو وجفاء، والتصوف السادر، والقبورية المكبَّة للمخلوق عن الخالق».

ولهذا يقول علَّامة الشام محمد بهجة البيطار في «الكوثري وتعليقاته» (ص٩٢): «وجملة القول: أن هذا الرجل لا يُعتدُّ بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه، ومَن يراجع تعليقاته يتحقق صدق ما قلناه فيه».

(١) الحَيْدة لغةً: حَادَ عنه يحيد حَيْدَةً وحُيُودًا وحَيْدُودَةً، أي: مال عنه وعدل. «مختار الصحاح».
والمراد بها هنا جواب السائل بغير ما سأل عنه، ومن أمثلة حيدة أهل البدع: ما أجاب به بِشرٌ المريسي عبدَ العزيز الكناني حين سأله: هل لله عِلم؟ فقال بشر: الله لا يَجهل، لأنه أدرك إنْ هو أجاب بالإثبات فقد أبطل حجته في كون القرآن مخلوقًا، لأنه لا يستطيع أن يقول: علم الله مخلوق، والقرآن من علم الله. وإن أجاب بالنفي كان ذلك منه تكذيبًا صريحًا بنصوص التنزيل، فحاد عن الجواب لئلَّا يلزمه أحد الوجهين، فشهد المأمون عليه بالانقطاع (الحيدة).

وأقُولُ: إنَّ الأكَابِرَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهل السُّنَّةِ قد عَرَفُوا مَغْزَىٰ جَهْم حَقَّ المَعرفة، ولِذلك نَافروه وكَفَّروه، ونَافروا أَتْبَاعَهُ وكَفَّروهُم، واسْتَدلُّوا علىٰ تَكْفِيرِهِم، وَبُطْلانِ أَقْوالِهِم في القُرآن بالأدلَّةِ الكَثيرة مِنَ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وذلك مَبْسُوط في الكُتُبِ المُصَنَّفَةِ في السُّنَّةِ والرَّدِّ علىٰ الجَهْمِيَّةِ.

ولَيْس في إنْكَارِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ الجَهميَّة، ورَدِّهِم عَلَىٰ أَقْوالِهِم البَاطِلة حَيْدَة عَنِ العَدْلِ إلىٰ الإفْراطِ أو التَّفْريطِ -كَمَا زَعَمَ ذلك الكَوْثَري-، بل إنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَم يَزالوا علىٰ العَدلِ واتِّبَاعِ الحَقِّ.

وَمَن أَنْكَرَ ذلك، فَلا شكَّ أنَّهُ هو الَّذِي قَد حادَ عنِ العدلِ، وكابَرَ في ردِّ الحقِّ، وأمَّا الَّذين تَابَعوا جَهْمًا وجاروهُ في نَفي الكَلامِ عنِ اللهِ تعالىٰ، وفي زَعْمِهِ أنَّ القُرآن مَخْلوق مِثل: بِشْر المريسي(١)، وثُمامَة بن أَشْرس(٢)، وأحمد بن أبي دُؤاد(٣)،

(١) هو أبو عبد الرحمن بِشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم؛ من موالي زيد بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرَّد القول بخلق القرآن، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئًا، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر، توفي سنة ثماني عشرة، وقيل: تسع عشرة ومائتين، ببغداد. انظر: «وفيات الأعيان» (٢٧٧).

(٢) هو ثمامة بن أشرس، أبو معن النميري البصري، من كبار المعتزلة ومن رءوس الضلالة، كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون. انظر ترجمته في: «ميزان الاعتدال» (١/ ٣٧١، ٣٧٢)، و«تاريخ بغداد» (٧/ ١٤٥).

(٣) هوأحمد بْن أبي دؤاد بْن حَرِيز، القاضي أبو عبد الله الأياديُّ، الْبَصْرِيُّ ثم البَغْداديُّ، جَهمي بغيض، ولي القضاء للمعتصم وللواثق بالله، وكان مصرِّحًا بمذهب الجَهْميَّة، داعيةً إلىٰ القول بخلْق القرآن، توفي سنة أربعين ومئتين من فالج أصابه. انظر: «وفيات الأعيان» (١/ ٢٢)، =

وأضْرابهم مِنَ الزَّنادقة، فَهَؤلاء هُم الَّذين حادوا عَنِ العَدلِ إلىٰ الإفْراطِ والتَّفريطِ، بَل إلىٰ الكُفْرِ الصَّريحِ؛ وقد ردَّ عَليْهم الإمام أحمد وغَيْره من أكَابِرِ العُلَماء، وحذَّروا من أقْوالِهِم المُشتَملة علىٰ الكُفر والزَّنْدقة.

وفي صفحة (٧) نَقَل المؤلِف عن الكَوْثَري أنَّه ذَكر عن أبي حَنيفة أنَّه قال في القُرآن: «مَا قامَ باللهِ غيْر مَخْلوق، ومَا قامَ بالخلقِ مَخلوق»، ثُمَّ قال الكَوْثَري: «يُريدُ أنَّ كَلامَ اللهِ باعتبار قِيامِهِ باللهِ صِفَة لَهُ كَباقي صِفاتِه في القِدم، وأمَّا ما في ألْسِنَةِ التَّالِينَ، وأذْهَانِ الحُفَّاظ، والمَصَاحِفِ مِنَ الأصْواتِ، والصور الذِّهنيَّة، والنُّقوش، فَمَخلوق كَخَلق حامِلِيها، فاسْتَقَرَّت آراء أهلِ العلمِ والفَهْمِ علىٰ ذلك بعده»؛ انتهىٰ.

وأقُولُ: أمَّا أَهْل العلِم المَوْروث عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَهُم أهْل السُّنَّة والجَماعة- فَإنَّهم يُفرِّقون بَيْن فِعْلِ العَبْدِ الذي هو تِلاوته، وبيْن المَتْلو المَقْروء وهو كَلام اللهِ الذي أنْزَلَهُ علىٰ نبيِّهِ مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيَقُولُون: إنَّ فِعْلَ العَبْدِ مخْلوق، وإنَّ المَتْلوَّ المَقْروء غيْر مَخلوق.

ويَقولون: إنَّ الوَرَق والمِداد مَخْلوقان، وإنَّ المَكْتوب المُثْبَت في المَصَاحفِ غيْر مَخلوق.

ويَقولونَ: إنَّ صُدورَ الحُفَّاظِ مَخلوقَة، وإنَّ المَحْفوظ في الصُّدور مِنَ القُرآن غيْر مَخلوق.

=

و«ميزان الاعتدال» (١/ ٩٧).

ويقولون: إنَّ أَسْمَاعَ العِبادِ مَخْلوقة، وإنَّ ما يَسْمعُونَهُ مِنَ القُرآن غيْر مَخلوق. ويقولون: إنَّ أبْصار العِبَادِ مَخْلوقة، وإنَّ ما يَنْظُرونَ إلَيْهِ مِنَ القُرآن المَكتوب غيْر مَخْلوق؛ هذا قَولِ أهْل السُّنَّة والجَماعة.

وأمَّا أهْل الجَهْل المَوْروث عَنِ الجَعْدِ بن دِرْهَم، والجَهْمِ بنِ صَفْوان؛ فَإنَّهُم يَزعُمونَ أنَّ القُرْآن مَخْلوق، وأنَّ أَلفَاظَهُم بالقُرآن مَخْلوقة، وأنَّ المَكْتوب في المَصاحفِ، والمَحْفوظ في الصُّدورِ مِنَ القُرآن، والمَسْموع من تِلَاوة التَّالِينَ للقُرآن كل ذلك مَخْلوق.

وقَد كفَّر كَثِير مِنَ العُلماءِ المُعْتبَرينَ مَنْ قَال: إنَّ القُرآنَ مَخْلوقٌ، ومَنْ قال: إنَّ اللَّفْظ بالقُرآن مَخْلوق، وَتبَرَّءُوا مِنْهُم، وفي هَذا يَقُول ابن القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ- في «الشَّافية الكَافِيَة»:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي ... عَشْرٍ مِنَ العُلَمَاءِ فِي البُلْدَانِ
وَاللَّالَكَائِيُّ الإِمَامُ حَكَاهُ عَنْـ ... ـهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي(١)

يَعْني أنَّ خَمْسَمِائةٍ من العُلَماءِ صرَّحوا بتكْفير الجَهميَّة، وقَد ذَكَرَ عَبدُ الله ابن الإمام أحمَد في كتابِ «السُّنَّة» كثيرًا من أقْوال العُلَماء في تَكفيرهم، وذَكَرَها غيْرُه ممَّن صَنَّف في السُّنة، والردِّ علىٰ الجهْميَّة.

ومَا ذَكَرَهُ الكَوْثَري عن أبي حَنِيفة أنَّه قال في القرآن: «وما قامَ بالخلقِ مَخْلوق»، فَلا أظُنُّ أن ذلك يَثْبُت عن أبي حَنيفة، وعلَىٰ تقْدير ثُبوتِهِ عنْهُ، فَهو كَلام مُجْمَل،

---

(١) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (١/ ٣٣).

ولَيْس بِفَصْلٍ كَما قد زَعَمَ ذلك الشَّيْخ أبُو غُدَّة، ولَيْس فيهِ إسْكات للجهْميَّة ولا لِغَيْرِهِم، وفي المُرادِ بِهِ احْتِمالانِ:

أحَدُهُما: ما قَرَّرَهُ الكَوْثري وزَعَمَ أنَّه مُراد أبي حَنيفة؛ وهو القَوْل بأنَّ ما في ألسِنَةِ التَّالِينَ، وأذْهَانِ الحُفَّاظ، والمَصَاحف مِنَ الأصْواتِ، والصُّوَرِ الذهنيَّة، والنُّقوش مخلوق كخَلق حامِليها.

وهذا موافِق لقَول من يَقول من الجهميَّة: «إنَّ اللَّفظ بالقُرآن مَخْلوق» يُريدُون بذلك التِّلاوَة، والمتلوَّ جَميعًا.

وموَافق -أيضًا- لِقَولهم: «إنَّ المَكتوبَ في المَصاحف من القُرآن، والمَحْفوظ في الصُّدورِ مِنْهُ مَخْلوق»، وهَذا ممَّا أَنْكَرَهُ الإمام أحمد وغيْره من أكابر العُلَماء، وعَدُّوه من أقْوال الجَهمية، ولا شَك أنَّ تَقرير الكَوْثري لِمَا ذَكَرَهُ عن أبي حَنِيفة يَفْتَح باب الطَّعن في أبي حَنِيفة، وتَصْديق الرِّوايات التي جاء فيها أنَّ أبا حَنِيفة كان يَقول بِخَلْقِ القُرآن، وأنَّهُ قد اسْتُتِيب من ذلك ثَلاث مرَّات، وهذا ممَّا يُنَزَّه عَنه أبو حَنِيفة، ويُنَزَّه -أيضًا- عمَّا قَرَّره الكَوْثَري ونَسَبَهُ إلَيْه؛ يَحْسبُ أنَّ فِيهِ مَدحًا لِأبي حَنِيفة، وهو في الحَقِيقة ممَّا يُذمُّ بِهِ، ويُطْعَنُ بِهِ عَلَيْهِ لَوْ كان ثابِتًا عنهُ، ولكنَّهُ لم يَثْبُتْ، والأحْرىٰ أنَّه مُفْتَرىً علىٰ أبي حَنِيفة.

الاحتِمالُ الثَّاني: أنْ يُقال: لعلَّ أبا حَنِيفة أَرَادَ أن التلاوَةَ، والصَّوتَ، والكِتابَةَ، والنَّظَرَ، والحِفْظَ، والاسْتِماعَ كُلُّها مَخْلوقةٌ؛ لأنَّها مِن أفْعالِ العِبادِ وكَسْبِهِم، وأمَّا المَتْلوُّ المَقْروءُ، والمَكْتوبُ في المَصاحف من القُرآن، والمَنْظورُ إلَيْه فِيها، والمَحفوظُ في الصُّدورِ مِنهُ، والمَسْموعُ من تِلاوةِ التَّالِينَ؛ فَلَمْ يَقُلْ فيه شَيْئًا، وعلىٰ هذا فَإنَّ الحُكْمَ

يَبْقىٰ مُعَلَّقًا علىٰ القَوْل فيه.

فَمَن قَال: إنَّه مَخْلوق؛ كَمَا قَرَّرَهُ الكَوْثَري؛ فَهو مُلحق بالجَهْمِيَّةِ، ومَن قَال: إنَّه كَلام اللهِ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُ وبَيْن أَفْعَالِ العِبَادِ؛ فَقَوْله حَقٌّ، ونَرْجُو أنْ يَكُون أبُو حَنِيفة أَرَادَ بكَلِمَتِهِ التَّفْريقَ بَيْنَ أفْعال العِباد، وبَيْنَ كَلام اللهِ تَعالىٰ.

والتَّفْريقُ هو قَوْل أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، وقد ذَكَرَهُ إبْراهيم الحَربي[1] عن الإمامِ أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ-، وقَرَّرَهُ الإمامُ البُخَاريُّ -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ- في كِتابِ «خَلْقُ أفْعَالِ العِبادِ».

قال إبْراهيم الحربي: كُنْتُ جالِسًا عِنْدَ الإمامِ أحْمد بن حَنبَل إذْ جاءَهُ رَجُلٌ فَقَال: يا أبا عَبد اللهِ! إنَّ عِنْدنا قَومًا يَقُولونَ: إنَّ أَلْفاظَهُمْ بالقُرآن مَخْلوقَةٌ، فَقال أبو عبد الله: «يَتَوَجَّهُ العَبْدُ للهِ تَعالىٰ بالقُرآن بِخَمْسَةِ أَوْجه، وَهُوَ فِيها غَيْر مَخْلوق: حِفْظٌ بِقَلْبٍ، وتِلاوَةٌ بِلِسانٍ، وسَمْعٌ بِأُذُنٍ، وَنَظَرَةٌ بِبَصَرٍ، وَخَطٌّ بِيَدٍ. فالقَلْبُ مَخْلوق، والمَحْفوظُ غَيْر مَخْلوق، والتِّلاوَةُ مَخلوقَةٌ، والمَتْلُوُّ غَيْر مَخْلوق، والسَّمْعُ مَخْلوق، والمَسْموعُ غَيْر مَخْلوق، والنَّظَرُ مَخلوق، والمَنْظُورُ إلَيْه غَيْر مَخْلوق، والكِتَابَةُ مَخْلوقة، والمَكْتوبُ غير مَخْلوق».

قال إبْراهيم: فَماتَ أحْمد، فَرَأَيْتَهُ في النَّومِ، وعَلَيْه ثِياب خُضْر وبِيض، وعلىٰ رَأسه تَاج مِنَ الذَّهَبِ مُكَلَّل بالجَوْهر، وفي رِجْلَيْهِ نَعْلانِ من ذَهَبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ

---

(١) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، الفقيه، أبو إسحاق الحربي، أحد الأئمة الأعلام؛ ولد سنة ثمان وتسعين ومائة، وتفقه علىٰ الإمام أحمد بن حنبل، وكان من نجباء أصحابه، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين. انظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٨- ٤٠)، و«فوات الوفيات» (١/ ١٤- ١٧).

اللهُ بِكَ؟ قَال: «غَفَر لِي، وقَرَّبَنِي، وأدْناني، فَقَال: قد غَفَرْتُ لَكَ، فَقُلْتُ لَهُ: يا رب! بِماذا؟ قال: بِقَوْلِكَ: كَلامِي غَيْرُ مَخْلوق».

قال ابْنُ القَيِّمِ -رِحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ-: «فَفَرَّقَ أحْمدُ بيْن فِعْلِ العَبْدِ وكَسْبِهِ، ومَا قَامَ بِهِ؛ فَهُوَ المَخْلوق، وبَيْنَ ما تَعَلَّق بِهِ كَسْبه؛ وَهُوَ غَيْر مَخْلوق، ومَنْ لَمْ يُفَرِّقْ هَذا التَّفْرِيقِ لَمْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَدَمٌ في الحَقِّ»؛ انتهىٰ(١).

وقد قَامَتِ الأدلَّةُ من الكِتابِ والسُّنَّةِ علىٰ الأَوْجه الخَمْسَةِ التي نَصَّ عَلَيْها الإمامُ أحْمد في رِواية الحربي.

فَأمَّا قَوْلُهُ: «**حِفْظٌ بِقَلْبٍ**»، فَدَليله قَوْل اللهِ تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقَوْله تعالىٰ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧].

قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «جمعه في صَدْرِكَ، ثُمَّ تَقْرَأُهُ». رَوَاهُ الإمامُ أحْمد، والبُخاريُّ، ومُسْلِمٌ، والنَّسائي(٢).

ورَوَىٰ الإمَامُ أحْمد أيْضًا، والتِّرمِذِي، والدَّارِمِي عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الذي لَيْس فِي جَوْفِهِ شَيءٌ مِنَ القُرآن كالبَيْتِ**

(١) «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٢٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٢) (٣١٩٢)، والبخاري (٩/ ١٥٣) (٧٥٢٤)، ومسلم (١/ ٣٣٠) (٤٤٨)، والنسائي (٢/ ١٤٩) (٩٣٥).

الخَرِب».(١) قال التِّرمِذِي: «حَديث حسن صحيح».

ورَوَىٰ البُخَارِيُّ، ومُسلم، والتِّرمذي، والنَّسائي عن عبد اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عَنِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ أنَّه قَال: «**استَذكِروا القُرآنَ، فإنَّه أشد تفصِّيًا من صُدورِ الرِّجال مِنَ النَّعَم**».(٢) قال التِّرْمِذِي: «هذا حَديث حَسن صحيح». قَوْلُهُ: «أشد تفصيًا» أي: أشد خروجًا وتفلتًا.

وأمَّا قوله: «**وتِلاوةٌ بلسانٍ**»، فَدَلِيله قول الله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾ [القيامة: ١٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾ [مريم: ٩٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ [الدخان: ٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقد اسْتَدَلَّ الإمَامُ أحْمد بِهذِهِ الآية، وبقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ قُرَيْشًا مَنَعُوني أنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي**». علىٰ أنَّ اللَّفْظِيَّةَ(٣) مِنَ الجَهْمِيَّةِ، وهذا الحَديثِ رَوَاهُ أبو داوُد، والترمِذي، وابْن ماجَه، والدَّارِمي عَن جابِر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، وقال التِّرْمِذي: «هذا حَديث غَريب صحيح»، وقد رَواهُ البُخَارِيُّ في كِتابِ «خَلق

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٣) (١٩٤٧)، والترمذي (٥/ ١٧٧) (٢٩١٣)، والدارمي (٢/ ٥٢١) (٣٣٠٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (٢٩١٣)، و«ضعيف الجامع» (١٥٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٩٣) (٥٠٣٢)، ومُسلم (٧٩٠)، والتِّرمذي (٢٩٤٣)، والنسائي (٢/ ١٥٤).

(٣) اللفظية: طائفة خرجت بعد ظهور الجهمية، وكانوا يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، وبعضهم قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فخالفوا بذلك أهلَ السنة.

أفعال العباد»(١).

ثُمَّ قَال: «فبيَّن النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّ الإبْلاغ مِنْهُ، وأنَّ كَلامَ اللهِ من ربه، ولَمْ يُذْكَرْ عن أحدٍ من المُهَاجِرينَ، والأنْصارِ، والتَّابِعِينَ لَهُم بإحْسانٍ خِلاف ما وَصَفْنا، وهُم الذين أدَّوُا الكِتابَ والسُّنَّةَ بَعْد النَّبِيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ»؛ انتهىٰ.

وقَالَ تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٦، ١٠٧].

وقَالَ تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، والآيات في هذا المَعْنىٰ كَثِيرة جدًّا.

ورَوَىٰ الإمامُ أحْمد، والبُخاريُّ، ومُسلم، والنَّسائي عَنِ ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: «كانَ النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُعالج من التَّنْزيلِ شدَّةً، كانَ يُحرِّكُ شَفتَيْه، فأنزَلَ اللهُ

---

(١) أخرجه أبو داوُد (٤٧٣٤)، والترمِذي (٢٩٢٥)، وابْن ماجه (٢٠١)، والدَّارِمي (١/ ٢٣١) (٨٤٣)، والبُخَاريُّ في كِتابِ «خَلق أفعال العباد» (٨٦ و٢٠٥).

تعالىٰ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧]؛ قَالَ: جمعه في صَدْرِكَ، ثُمَّ تَقْرَأُهُ. ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة: ١٨]؛ قَالَ: فاسْتَمِعْ، وأَنْصِتْ، ثُمَّ عَلَيْنا أنْ تَقْرَأَهُ، قَالَ: فكانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتاهُ جِبْريل اسْتَمَعَ، فَإذا انْطَلَقَ جِبْريلُ قَرَأَهُ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أقْرَأَهُ»(١).

وأَمَّا قَوْلُهُ: «وسَمْعٌ بأُذُنٍ»، فَدَلِيلُهُ قَوْل اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقَوله تعالىٰ: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، وهم إنَّما يَسْمَعونَهُ من تِلاوَة الآدَمِيِّينَ؛ لِقَوْلِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

ورَوىٰ الإمامُ أحْمد، والبُخاريُّ، ومُسلم، وأبو داود، والتِّرْمِذي، والنَّسائي عن عبد اللهِ بن مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَأ علي القُرْآن**». قَالَ: فَقُلْتُ: يا رَسُول الله! أقْرأ علَيْك وعلَيْك أُنْزِل؟! قَالَ: «**إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِن غَيْرِي**»(٢) قَالَ: فَقَرَأْتُ علَيْه مِن أوَّل سورة النساء... الحديثَ.

---

(١) أخرجه أحْمد (٣/ ٣٧٢) (٣١٩٢)، والبُخاريُّ (١/ ٨) (٥)، ومُسلم (١/ ٣٣٠) (٤٤٨)، والنَّسائي (٢/ ١٤٩) (٩٣٥).

(٢) أخرجه أحْمد (٤/ ١٤٩) (٤١١٨)، والبُخاريُّ (٦/ ١٩٥) (٥٠٤٩)، ومُسلم (١/ ٥٥١)، وأبو داود (٣/ ٣٦٣) (٣٦٧٠)، والترمذي (٥/ ٢٣٨) (٣٠٢٥)، والنَّسائي (٥/ ٢٨) (٨٠٢١).

ورَوَىٰ الإمامُ أحْمد، وأبو داود، والنَّسائي أيضًا، وابْن ماجَه، والدَّارِمي، والبُخاريُّ في كِتَابِ «خلقُ أفْعال العِباد» بأسانيد صَحيحة، وابن خُزَيْمة، وابن حِبَّان في «صَحيحَيْهِما»، والحاكِم في «مُسْتَدرَكِهِ» عَن البَراء بن عازِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: «**زَيِّنوا القُرآن بأصْواتِكُم**»، وقد ذَكَرَهُ البُخَاريُّ في «صَحيحِهِ» مُعَلَّقًا بصيغَةِ الجَزم، ورَوىٰ ابن حِبَّان -أيضًا- عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ.

وفي رِوايَةٍ للحاكم عن البَراءِ بن عازِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**زَيِّنوا أصْواتَكُم بالقُرآن**»، ورَوَاهُ الخطابي في «معالم السنن» بهذا اللَّفظ(١)، ثُمَّ قَالَ: «وفِيهِ دَليل علىٰ هذه الرِّواية أنَّ المَسْموع مِن قراءَةِ القارئ هو القُرآن، ولَيْس بحكايةٍ للقُرآن»؛ انتهىٰ.

وأمَّا قَوْله: «وَنَظْرَةٌ بِبَصَرٍ»، فَقَد وَرَدَ فِيهِ حديث في إسْنادِهِ مَقَال، وهو ما رَواهُ أبو عُبيد القاسم بن سَلام، والطَّبَراني، وأبو نُعيم، وغَيْرهم عن بعض أصحاب النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: «فَضْلُ قِراءَةِ القُرآن نظرًا علىٰ مَن

---

(١) أخرجه أحْمد (٤/ ٢٨٣) (١٨٥١٧)، وأبو داود (٢/ ٧٤) (١٤٦٨)، والنَّسائي (٢/ ١٧٩) (١٠١٥)، وابْن ماجَه (١/ ٤٢٦) (١٣٤٢)، والدَّارِمي(٢/ ٥٦٥) (٣٥٠٠)، والبُخاريُّ في كِتَابِ «خلقُ أفْعال العِباد» (١/ ٨٦)، وابن خُزَيْمة (١/ ٧٤٨) (١٥٥٢)، وابن حِبَّان (٣/ ٢٥) (٧٤٩)، والحاكِم في «مُسْتَدرَكِهِ» (١/ ٧٦١) (٢٠٩٨)، وذَكَرَهُ البُخَاريُّ في «صَحيحِهِ» مُعَلَّقًا (٩/ ١٥٨)، وغيرهم من حديث البراء وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٤٥).

يَقْرَأُهُ ظَهْرًا، كَفَضْلِ الفَرِيضَة على النَّافِلَة»(١).

ورَوىٰ عبد الله ابن الإمام أحمد في كِتابِ «السُّنَّة»: عن أبي مَعْمَر عن سُفْيان قَالَ: قَالَ عُثمان بن عفَّان رضي لله عنه: «ما أُحِبُّ أَنْ يَأتي عليَّ يوم ولَيْلة لا أَنْظُر في كَلامِ اللهِ» يَعْني: القِراءَةَ في المُصْحَفِ.(٢)

وأمَّا قَوْله: «**وَخطٌّ بيَدٍ**»، فَدلِيله قَوْل اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقَولُهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الطور: ١ - ٣]، وقَولُهُ تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وقَولُهُ تعالىٰ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: ٢، ٣]، وقَولُهُ تعالىٰ: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤﴾ [عبس: ١٣، ١٤]، وقَولُهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزُّخرُف: ٤]، وقَولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأنعام: ٧]. إلىٰ غَيْر ذلك مِنَ الآيات.

وروىٰ مالك، وأحمد، والبُخاريُّ، ومُسلم، وأبو داود، وابن ماجَه عن ابن

---

(١) أخرجه أبو عُبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (١/ ٨٦) (٧٧)، وأبو نعيم (٢/ ٦٩٧)، قال الشيخ الألباني: «ضعيف جدًّا»، انظر حديث رقم (٣٩٨٠) في «ضعيف الجامع»، و«الضعيفة» (٤٠١١).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في كِتابِ «السُّنَّة» (١/ ٨١) (١٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٠٠)، وهو أثر مُعضل؛ لأن سفيان بن عيينة لم يسمع من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «نَهىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُسافَرَ بالقُرآن إلىٰ أرْضِ العَدو»، وفي رِواية بعضهم: «مَخافةَ أنْ ينالَهُ العَدو»، وفي رِوايَةٍ لِمُسلِمٍ: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لا تُسافِروا بالقُرآن، فَإنِّي لا آمَن أنْ يَنالَهُ العَدو**»(١)، وقَد تَرْجَمَ البُخاريُّ علىٰ هذا الحَديث بِقَوله: «بابُ كَراهيَة السَّفر بالمَصاحِفِ إلىٰ أرْضِ العَدو»، وتَرجَم عَلَيْهِ أبُو داود بِقَوْلِهِ: «بابٌ في المُصْحَفِ يُسَافَر بِهِ إلىٰ أرضِ العَدو».

ورَوَىٰ عَبدُ الله ابن الإمام أحمد في كِتابِ «السُّنَّة»، عن ابن أبي مُلَيْكَة قَالَ: كَانَ عِكْرِمَةُ بن أبي جَهل يَأخُذُ المُصْحَفَ فَيَضَعُهُ علىٰ وَجْهِهِ وَيَقُول: «كَلامُ رَبِّي، كَلامُ رَبِّي». (٢)

وفِيما ذَكَرْتُهُ مِنَ الآيات والأحادِيث أبْلَغُ رَدٍّ علىٰ ما قَرَّرَهُ الكَوْثَري، وزَعَمَ أنَّهُ مُراد أبي حَنِيفة.

وقَد قَرَّرَ الإمامُ البُخَاري -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ- في كِتابِ «خَلْقُ أفْعَالِ العِبادِ» نَحو ما ذَكَرَهُ إبْراهيم الحربي عَنِ الإمامِ أحْمد، قَالَ البُخَارِيُّ: سَمِعْتُ عبد الله بن سعيد يَقول: سَمِعْتُ يَحيىٰ بن سعيد يَقول: «ما زِلْتُ أسْمَعُ مِنْ أصْحابِنَا يَقولونَ: إنَّ أفْعَالَ العِبادِ مَخْلوقَةٌ». قَالَ أبو عبد الله (أي: البُخارِي): «حَرَكاتُهُم، وَأَصْواتُهُم، واكتِسَابُهُم، وكِتابَتُهُم مَخلوقَةٌ، فأمَّا القُرآن المَتْلُوُّ المُبينُ المُثْبت في المَصاحفِ المَسْطور

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٤٦)، وأحمد في «المسند» (٤٥٠٧)، والبخاري (٤/ ٥٦) (٢٩٩٠)، ومسلم (٣/ ١٤٩٠) (١٨٦٩)، وأبو داود (٤/ ٢٥١)، وابن ماجه (٤/ ١٣١) (٢٨٧٩).

(٢) أخرجه عَبدُ اللهِ ابن الإمام أحمد في كِتابِ «السُّنَّة» (١/ ٧٨) (١١٨).

المَكْتوب المُوعَىٰ في القُلوب؛ فَهو كَلام اللهِ لَيْس بِخَلقٍ. قَالَ اللهُ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]».(١)

وقَالَ إسحاق بن إبْراهيم: «فأمَّا الأَوْعِيَةُ، فَمَنْ يُشَكُّ في خَلقِها؟! قَالَ اللهُ: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ ﴾ [الطور: ٢، ٣]، وقَالَ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢ ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، فذَكَرَ أنَّهُ يُحفَظ ويُسطَّر قَالَ: ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ [القلم: ١]».(٢)

ثُم روىٰ بإسنادِهِ عن قتادة: «﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾ [الطور: ١، ٢]، فقَالَ: المَسْطور المَكْتوب: ﴿ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ ﴾ [الطور: ٣] وهو الكِتابُ»(٣).

وروىٰ -أيضًا- عن مُجَاهد: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾ [الطور: ٢]، وصُحف مكتوب ﴿ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ ﴾ في مُصْحَف(٤).

قَالَ أبو عبد الله (أي: البُخاري): «فأمَّا المِدادُ، والرَّقُّ، ونَحوه فإنَّهُ خَلق، كَما أنَّك تَكتب (الله)، فاللهُ في ذاتِهِ هو الخالِق، وخطُّكَ، واكتِسابُكَ من فِعْلِكَ خَلق؛ لأنَّ كُل شيء دُون الله يَصنَعه، وهو خلق».

وقَالَ البُخاريُّ أيضًا: «ولا توجه القُرآن إلا أنَّهُ صِفَةُ اللهِ، وهو قَوْلِ الجَبَّارِ أنْطَقَ بِهِ عِبادَهُ، وكَذلك تَواتَرَت الأخْبار عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ القُرآنَ كَلامُ اللهِ، وأنَّ

(١) «خَلْقُ أفْعَالِ العِبادِ» (١/ ٤٧).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: المصدر السابق.

أمْرَهُ قَبْلَ خَلْقِهِ، وبه نَطق الكِتاب»(١).

وَذَكَرَ البُخاريُّ -أيضًا- آيات مِنَ القرآن في تِلاوَةِ النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصْحابِهِ للقُرآن، مِنْها: «قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقَوْلُهُ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقَوْلُهُ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقَوْلُهُ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، وقَوْلُهُ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقَوْلُهُ: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

ثُمَّ قَالَ: «فَبَيَّنَ أنَّ التِّلاوَةَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصْحابِهِ، وأنَّ الوَحْيَ مِنَ الرَّب، ومِنْهُ قَوْل عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «ما كُنْتُ أَظُنُّ أنَّ اللهَ مُنزِلٌ في شَأني وحْيًا يُتْلىٰ»(٢)، فَبَيَّنَتْ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنَّ الإنْزالَ مِنَ اللهِ، وأنَّ النَّاس يَتْلونَهُ».

وَذَكَرَ البُخَارِيُّ أيضًا: عَنِ الجَهْمِيَّةِ والمُعَطِّلَةِ أنَّهم قَالُوا: إنَّ القُرآن المَقْروء بِعلْمِ اللهِ مَخْلوق، فَلَمْ يُمَيِّزوا بيْنَ تِلاوَةِ العِبادِ، وَبَيْنَ المَقْروءِ(٣).

وقَالَ البُخاريُّ أيضًا: «وقد يُقَال: فُلان حَسَنُ القِراءة، وَرَديء القِراءة، ولا يُقَال: حَسَنُ القُرآن، وَرَديء القُرآن، وإنَّما نُسب إلىٰ العِبادِ القِراءة لا القُرآن؛ لأنَّ

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) «خَلْقُ أفْعَالِ العِبادِ» (١/ ٤٩).

(٣) انظر: المصدر السابق.

القُرآن كَلامُ الرَّبِّ جَلَّ ذِكرُه، والقِراءةَ فِعلُ العَبد، ولا يَخْفىٰ مَعْرفة هذا القدر إلَّا علىٰ مَنْ أعْمىٰ اللهُ قَلْبَهُ، ولم يُوَفِّقْهُ، ولم يَهده سبيل الرَّشاد.

وليس لِأحد أنْ يَشْرع في أمر اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِغَير عِلم كما زعم بعضهم أنَّ القُرآنَ بألفاظنا، وألفاظُنا بِهِ شيء واحد، والتِّلاوَةُ هي المَتْلوُّ، والقِراءَةُ هي المَقْروءُ؛ فَقِيلَ لَهُ: إنَّ التِّلاوَةَ فِعْلُ التَّالِي، وعَمَلُ القَارئ، فَرَجَعَ وقَالَ: ظَنَنْتُهُمَا مَصْدَرَيْنِ.

فَقِيلَ لَهُ: هلَّا أمْسَكتَ كَما أمْسَك كَثير من أصْحابِكَ! ولَوْ بَعَثْتَ إلىٰ مَن كَتَبَ عَنْكَ، فاسْتَرَدَدْتَ ما أثْبتَّ، وضَرَبت علَيْه؛ فَزعَمَ أنْ كَيْفَ يُمْكن هَذا وقد قُلتُ؟! ومَضىٰ، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ جَازَ لَكَ أنْ تَقولَ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ شيئًا لا يَقُوم بِهِ شَرحًا وبيانًا؛ إذْ لَمْ تُمَيِّزْ بَيْنَ التِّلاوة والمَتْلُو؟ فَسَكَتَ إذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جَواب»(١).

وذَكَرَ البُخارِيُّ -أيضًا- قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا صَلاة لِمن لم يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتابِ**»(٢)، ثُمَّ قَالَ: «فَأَوْضَحَ أنَّ قِراءَةَ القَارِئِ، وتلاوَتَهُ غيرُ المَقْروءِ والمَتْلُوِّ، وإنَّما المَتْلو فاتِحة الكِتَابِ لا اخْتِلاف فِيهِ بَيْنَ أهِلِ العِلْمِ».

وذَكَرَ البُخارِيُّ -أيضًا- قَوْلَ النَّبِي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّما الصَّلاة لِقراءة القُرآن، ولِذِكْرِ اللهِ، ولِحاجَةِ المَرْءِ إلىٰ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ**»(٣)؛ ثُمَّ قَالَ: «فَبَيَّن أنَّ الدُّعاءَ، والحاجَةَ،

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) (٣٤)، والترمذي (٢٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٨٤) و(٧٩٥٥)، وابن ماجه (٨٣٧)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١/ ١٠٦).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٣٥١) (٩٣٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (١/ ٣٥٣٩)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١/ ١٠٧).

والتَّضَرُّعَ، والذِّكْرَ، والقِرَاءَةَ مِنَ العَبْدِ، وأنَّ المَقْروءَ هو كَلام اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

وقَالَ البُخَارِيُّ أيضًا: «وقَالَ أحْمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يعْجِبني قِراءَةَ حَمْزة، ولا يُقَال: لا يُعْجِبُني القرآن، حتَّىٰ قَالَ بعضهم: من قَرَأ بقِراءة حَمْزة أعادَ الصَّلاة».

وذَكَرَ البُخَارِيُّ -أيضًا- قَوْل النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنا أنا في الجَنَّةِ سَمِعْتُ صَوْتَ رجُل بالقُرآن**»(١)، ثُمَّ قَالَ: فَبيَّنَ أنَّ الصَّوتَ غَيرُ القُرآن.

وذَكَرَ -أيضًا- قَوْلَ عَليِّ بن أبي طالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَهىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قِراءَةِ القُرآن في الركُوعِ»(٢)، ثُمَّ قَالَ: «فَبَيَّنَ أنَّ القِراءَةَ غَيْرُ المَقْروءِ».

وذَكَرَ -أيضًا- قَوْلَ اللهِ تعالىٰ: ﴿**بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ [المائدة: ٦٧]، ثُمَّ قَالَ: «فَذَلِك كلُّه ممَّا أَمَرَ بِهِ، ولِذَلك قَالَ: ﴿**أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ**﴾ [الأنعام: ٧٢]، والصَّلاةُ بِجُملَتِها طَاعةُ اللهِ، وقِرَاءَةُ القُرآن مِنْ جُمْلَةِ الصَّلَاةِ، فالصَّلاةُ طَاعَةُ اللهِ، والآمِرُ بالصَّلاةِ قُرآن، وهو مَكْتُوب في المَصَاحِفِ، مَحفوظ في الصُّدورِ، مَقْروء علىٰ اللِّسانِ، والقِراءَةُ والحِفْظُ والكِتَابَةُ مَخْلوق، وما قُرِئَ وحُفِظَ وكُتِبَ ليس بمَخْلوق»؛ انتهىٰ المَقْصُود مِنْ كَلَامِهِ -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ-.

وفِيهِ مَعَ ما تَقدَّم قَبْلَهُ مِنْ كَلَامِ الإمامِ أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ-: رَدٌّ علىٰ ما قرَّرهُ الكَوْثَري، وزَعَمَ أنَّهُ مُراد أبي حَنيفة، ورَدٌّ -أيضًا- علىٰ زَعْمِهِ أنَّ آراء أهْلِ العِلم

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٠٥/ ٦٥) (٨١٧٧)، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٣٦) (٤٦٠٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١/ ١٠٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢١٩)، ومسلم (٢/ ٤٣٤) (٢٠٧٨)، وأبو داود (١/ ٢٣٢)، والترمذي (٢/ ٤٩) (٢٦٤).

والفَهْم قد استقرَّت علىٰ مُقتَضىٰ تقريره الباطل.

وقَالَ الشَّيخُ أبو عُثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصَّابوني(١) في رِسالَتِهِ التي سمَّاها «عَقيدةُ السَّلفِ وأصْحابِ الحَديث»:

«ويَشهَدُ أصْحاب الحَديث، ويَعْتَقدون أنَّ القُرآنَ كَلامُ اللهِ، وكِتابُهُ، ووَحْيُهُ، وتَنْزيلُهُ غَيْرُ مَخْلوق، ومَنْ قَالَ بِخَلْقِه، واعتَقَدهُ، فَهو كافِر عِنْدَهُم، والقُرآن الذي هو كَلام اللهِ، ووحيه هو الذي يَنْزل بِهِ جِبْريلُ علىٰ الرَّسولِ ﷺ قُرآنًا عَربيًّا لِقَوْمٍ يعْلمون، بشيرًا ونذيرًا، كَما قَالَ عزَّ مِن قَائل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وهو الذي بلَّغه الرسولُ ﷺ أمَّته، كما أُمِرَ بِهِ في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، فكان الذِي بَلَّغهم بأمْرِ اللهِ تعالىٰ كَلامه عَزَّوَجَلَّ، وفِيهِ قَالَ ﷺ: «**أتَمْنعُوني أنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي**»(٢)، وهو الذي

---

(١) هو: أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر بن عابد الصابوني النيسابوري، الحافظ المفسِّر المُحدِّث الفقيه الواعظ، الملقَّب بشيخ الإسلام، وُلد عام ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وتوفي عام تسع وأربعين وأربعمائة. انظر: «شذرات الذهب» (٣/ ٢٨٢ - ٢٨٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٠ - ٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٠) (١٥٢٢٩)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٤٠، ٦٠) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، بلفظ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَىٰ قَوْمِهِ؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٤٧).

تَحْفَظه الصُّدور، وتَتْلُوهُ الألسِنَةُ، ويُكْتَبُ في المَصاحِفِ كَيْف ما تصرَّف بِقِراءةِ قارئٍ، ولَفْظِ لافِظٍ، وحِفْظِ حافِظٍ، وحيث تُلي، وفي أيِّ مَوْضع قُرئ، وكُتب في مَصاحِفِ أهْلِ الإسلامِ، وألْواحِ صِبْيانِهِم، وغَيْرها كله كَلام اللهِ جَلَّجَلَالُهُ، غير مَخْلوق، فَمَنْ زَعَمَ أنَّه مَخْلوق، فَهُوَ كافر باللهِ العظيمِ».

سَمِعْتُ الحاكمَ أبا عبد اللهِ الحافِظ يَقُول: سَمِعْتُ أبا الوليد حسَّان بن مُحمَّد يَقُول: سَمِعْتُ الإمام أبا بكر مُحمَّد بن إسحاق بن خُزَيْمة يَقُول: «القُرآن كَلامُ اللهِ غَيْر مَخْلوق، فَمَنْ قَالَ: إنَّ القُرآن مَخْلوق، فَهو كَافر باللهِ العَظِيم، لا تُقْبَل شَهادتُه، ولا يُعاد إنْ مَرض، ولا يُصلَّىٰ عليه إنْ مات، ولا يُدفن في مَقابر المُسلمين، ويُسْتَتاب فَإنْ تاب، وإلا ضُرِبَتْ عُنُقه»[١].

فأمَّا اللَّفْظ بالقُرآن، فإنَّ الشَّيخ أبا بَكر الإسْماعِيلي الجرجاني ذَكَرَ في رِسالَتِهِ التِي صنَّفَها لِأهْلِ جيلان: «أنَّ مَنْ زَعَمَ أنَّ لفظَهُ بالقُرآن مَخْلوق يُريدُ بِهِ القُرآن، فقد قَالَ بِخَلْقِ القُرآن».

وذَكَرَ ابن مَهْدي الطَّبري في كِتابِهِ «الاعْتِقاد» الذي صَنَّفه لِأَهْلِ هذه البِلاد: «إنَّ مَذْهَب أهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ القَوْل بِأنَّ القُرآن كَلامُ اللهِ سُبحانه، وَوَحْيُهُ، وتَنْزِيلُهُ، وأَمْرُهُ ونَهْيُهُ، غَيْر مَخْلوق، ومَنْ قَالَ: مَخْلوق، فَهُوَ كَافر باللهِ العظيم، وأنَّ القُرآن فِي صُدُورِنَا مَحْفُوظٌ، وبِألسِنَتِنَا مَقْروء، وفِي مَصَاحِفِنَا مَكْتوب، وهو الكَلام الذي تَكَلَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ.

---

(١) «عَقيدةُ السَّلفِ وأصْحابِ الحَديث» (ص٧).

ومَنْ قَالَ: إنَّ القُرآن بِلَفْظِي مَخْلوق، أو لَفْظِي بِهِ مَخْلوق؛ فهو جَاهل ضالٌّ كَافِر باللهِ العظيمِ، وإنَّما ذَكرتُ هذا الفَصْلِ بِعَيْنِهِ من كِتابِ ابن مَهْدي لاسْتِحْسانِي ذلك مِنْه، فَإِنَّهُ اتَّبَع السَّلف أصحاب الحَديث فِيما ذَكَرَهُ مَعَ تَبحُّره في الكَلام، وتَصانِيفه الكَثِيرة فِيهِ، وتَقَدُّمه وتبرُّزه عِنْدَ أَهْله»؛ انتهىٰ(١).

أخبرنا أبو عبد اللهِ الحافظ قَالَ: قَرأتُ بخطِّ أبي عمرو المُستملِي سَمِعْتُ أبا عُثمان سَعيد بن إشكاب يَقُول: سَألتُ إسحاق بن إبْراهيم عن اللَّفظ بالقُرآن، فقَالَ: «لا ينْبغي أن يُناظَر في هذا، القُرآنُ كَلامُ اللهِ غَيْر مَخْلوق»(٢).

وذَكَرَ مُحمَّد بن جرير الطَّبري رَحِمَهُ اللَّهُ في كِتَابِهِ «الاعتِقاد»(٣) الذي صنَّفه في هذه، وقَالَ: «أمَّا القَوْل في ألفاظِ العِبادِ في القرآن، فَلا أثَر فِيهِ نَعْلَمُهُ عَن صَحابي، ولا تابِعيٍّ إلَّا عمَّن في قَوْلِهِ الغِنَىٰ والشِّفاء، وفي اتِّباعِهِ الرُّشد والهُدىٰ، ومَنْ يَقوم قَوْلُهُ مَقامَ الأئِمَّة الأولىٰ أبِي عبد اللهِ أحْمد بن حَنبَل رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنَّ أبا إسماعيل التِّرمِذي حدَّثَنِي قَالَ:

سَمِعْتُ أبا عبد اللهِ أحمد بن حَنبَل رَحِمَهُ اللَّهُ يَقول: «اللَّفْظِيَّةُ جَهْمِيَّة»، قَالَ الله تعالىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] مِمَّن يَسْمَع؟ قَالَ: سَمِعْتُ جَماعة من أصحابِنا -لا أحفَظ أسماءهم- يَذكُرون عنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان يَقُول: «من قَالَ: لفْظي

(١) «عَقيدةُ السَّلفِ وأصْحابِ الحَديث» (ص٨، ٩).

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٩) (٥٨٩)، والخطابي في «الغنية عن الكلام وأهله» (١/ ١٤).

(٣) المراد به كتابه «صريح السُّنَّة».

بالقُرآن مَخْلوق، فَهُوَ جَهْمِي، ومن قَالَ: غير مَخلوق، فَهُوَ مُبْتَدِع».

قَالَ مُحمَّد بن جَرير: «ولا قَوْل في ذَلك عِنْدنا يَجُوز أنْ نَقولَهُ غَيْر قَوله؛ إذ لَم يَكُنْ لنَا فِيهِ إمامٌ نأتَمُّ به سواه، وفِيهِ الكِفايَة، والمَقْنع، وهو الإمام المُتَّبع رحمة الله عليه ورضوانه».

هذه ألفَاظ مُحمَّد بن جرير التي نَقلتها نَفْسَهَا إلىٰ ما هاهُنا مِن كِتَابِ «الاعتِقاد» الذي صَنَّفَهُ.

قَالَ الصَّابُوني: «وهو -أعني مُحمَّد بن جرير- قد نَفىٰ عَن نَفْسِهِ بِهَذا الفَصْلِ الذي ذَكَرَهُ في كِتَابِهِ كُل ما نُسِبَ إلَيْه، وقُذِفَ بِهِ من عُدُولٍ عن سَبِيلِ السُّنَّةِ، أو مَيْلٍ إلىٰ شَيءٍ مِنَ البِدْعَةِ.

والذي حَكاهُ عن أحْمد -رضي الله عنه وأرضاه- أنَّ اللَّفْظِيَّةَ جَهْمِيَّةٌ، فَصَحِيح عَنْهُ، وإنَّما قَالَ ذلك لأنَّ جهمًا وأصحابه صَرَّحوا بخَلْقِ القرآن، والذين قَالَوا باللَّفظِ تَدَرَّجوا به إلىٰ القول بِخَلْقِ القُرآن، وخافوا أهْل السُّنَّةِ في ذلك الزَّمان مِنَ التَّصريح بخلقِ القرآن، فَذَكروا هذا اللَّفظ، وأرادُوا به أنَّ القرآن بلفْظِنَا مَخْلوق، فَلِذلك سَمَّاهُم أحمد رَحِمَهُ اللهُ جَهْمِيَّة.

وحُكِي عَنْهُ -أيضًا- أنَّهُ قَالَ: «اللَّفْظِيَّةُ شَرٌّ مِنَ الجَهْمِيَّةِ».

وأمَّا ما حَكاهُ مُحمَّد بن جرير عَن أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «أنَّ مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالقُرآن غَيْر مَخْلوق، فَهُوَ مُبْتَدِعُ»، فَإنَّما أَرَادَ أنَّ السَّلَفَ من أهلِ السُّنَّةِ لم يَتكَلَّمُوا في بابِ اللَّفظ، ولم يَحْوِجهُم الحال إليه، وإنَّما حَدَثَ الكَلام في اللَّفظِ من أهْلِ التَّعَمُّقِ، وذَوي

الحُمْقِ الذين أَتُوا بالمُحدثات، وبَحَثوا عمَّا نُهوا عنْهُ مِنَ الضَّلالات، وذَمِيم المقَالَات، وخاضوا فِيما لَمْ يَخُضْ فِيهِ السَّلف من عُلماءِ الإِسْلام.

فقَالَ الإمام أحمدُ: هذا القَوْلُ في نَفْسِهِ بِدْعَةٌ، ومِنْ حَقِّ المُتَديِّن أن يَدَعَهُ، ولا يَتَفَوَّه به وَلَا بِمِثْلِهِ مِنَ البِدَعِ المُبْتَدَعة، ويَقْتَصِرَ عَلىٰ مَا قَالَهُ السَّلَفِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُتَّبَعَةِ: «أن القرآن كلام الله غير مَخْلوق»، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه»؛ انتهىٰ كلام الصَّابوني رحمه الله تعالىٰ(١).

وفِيهِ أبْلَغ رَد علىٰ ما قرَّرهُ الكَوْثري، وزَعم أنَّه مُراد أبي حَنِيفة، وفِيهِ -أيضًا- أبْلَغ رَد علىٰ زَعْمِ الكَوْثري أنَّ آراء أَهْلِ العِلْمِ والفَهْمِ قد استَقَرَّت عَلىٰ مُقْتَضىٰ تَقْريره المُخَالِف لعَقِيدَةِ السَّلَفِ، وأصْحابِ الحَدِيثِ.

وقد ذَكَرَ ابن جَرِير -رحمه الله تعالىٰ- في عَقِيدَتِهِ كلامًا حَسَنًا لَمْ يَذْكره الصَّابُوني، وأنَا أذْكره هَهنا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الرَّدِّ علىٰ تَقرير الكَوْثري، وزَعْمِهِ البَاطل؛ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أوَّل مَا نَبْدَأ بالقَوْلِ فِيهِ عِنْدَنَا: القُرآن؛ أَنَّهُ كَلامُ اللهِ وتَنْزيلُهُ؛ إذ كان مِنْ مَعَانِي تَوْحِيده، فالصَّوابُ مِنَ القَوْلِ في ذلك عِنْدَنَا: أَنَّهُ كَلام اللهِ غير مَخْلوق، كيف كُتِبَ وحَيْثُ تُلِي، وفي أي مَوْضِع قُرِئ، في السَّماء وُجِد، وفي الأرضِ حُفِظ، في اللَّوْحِ المَحْفوظ أو في القَلبِ، وباللِّسانِ لُفِظ.

فَمَنْ قَالَ غَيْر ذلك، أو ادَّعَىٰ أنَّ قُرآنًا في الأرضِ أو في السَّماء سوىٰ القُرآن

---

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص١٠، ١١).

الذي نَتْلوه بألسِنَتِنا، ونكْتُبُهُ في مَصاحِفنا، أو اعتَقَد ذلك بِقَلْبِهِ، أو أَضْمَرَهُ في نَفْسِهِ، أو قَالَهُ بِلِسانِهِ دايِنًا، فَهُوَ باللهِ كَافِر حَلال الدَّم والمَال، بَرِيء مِنَ اللهِ، واللهِ مِنْهُ بَرِيء، يَقُول الله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ في اللَّوحِ المَحْفوظ مَكْتُوب، وأنَّه مِن لِسَانِ مُحمَّد مَسْمُوع، وكذلك هو في الصُّدورِ مَحْفوظ، وبألْسُن الشُّيوخِ والشُّبَّانِ مَتْلو»؛ انتهىٰ[1].

وقَالَ الشَّيخ أبو الحَسَن علي بن إسماعيل الأشْعَري -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ- في كِتابِهِ «مقَالَات الإسلامِيين»: «هذا حِكَاية جُمْلة قَوْلِ أصحابِ الحَديث، والسُّنَّةِ»، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْهُم أَنَّهُم «يَقُولون: إنَّ القُرآن كَلامُ اللهِ غير مَخْلوق، والكلام في الوقف واللفظ من قَالَ باللفظ أو الوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقَال: اللفظ بالقرآن مَخْلوق، ولا يقَال غير مَخْلوق»؛ انتهىٰ[2].

وفِيما ذَكَرَهُ عن أصحاب الحَديثِ، والسُّنَّةِ أَبلغ رَد عَلىٰ ما قرَّرَهُ الكَوْثري، وزَعَمَ أنَّه مُراد أبي حَنِيفة، وفِيه أيْضًا رد عَلىٰ زَعْمِهِ أنَّ آراءَ أهْلِ العِلمِ والفَهْمِ قَدِ اسْتَقَرَّت عَلىٰ ما أبْداهُ مِنَ التَّقريرِ البَاطِل المُخَالِف لِمَا عَلَيْه أصحاب الحديث، والسُّنَّة.

وفي صفحة (٩)، وصفحة (١٠)، نَقَلَ المُؤَلِّفُ عن الشَّوْكاني[3] أنَّه قَالَ:

---

(١) «صريح السنة» للطبري (١/ ١٨).

(٢) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٩٢).

(٣) انظر: «إرشاد الفحول» للشوكاني (١/ ٣٩) ط: دار الكتاب العربي.

«ومَسْألة الخِلاف في كَلامِ اللهِ، وإنْ طالتْ ذيولها، وتَفَرَّق النَّاس فيها فِرَقًا، وامْتُحِنَ بها مَنِ امْتُحِنَ من أهلِ العلمِ، وظَنَّ مَن ظَنَّ أنَّها مِن أعظَم مَسَائِلِ الدِّين، ليس لها كَبِيرُ فَائدة، بَل هي مِن فُضولِ العلمِ».

وأقُولُ: لا يَخفىٰ ما في هذا الكَلام مِنَ الغضِّ مِن كَلام الإمَامِ أحمد، وغَيْره مِنْ أكابِر العُلَماء في الرَّد علىٰ الجَهْمِيَّةِ، وتَكْفِيرِهِم والتَّحذِير من فِتْنَتِهم، والأمر بِهَجْرِهم، ومُجانَبَتِهم.

ولَوْ كان الأَمْرُ علىٰ ما تَوهَّمَهُ الشَّوْكاني لَمَا كان الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ- يَصْبِر علىٰ الحَبْسِ الطَّويل، والضَّربِ الشَّديد، ومُراغَمَةِ المُلوك الجَبَابِرَة.

وكذلك أحمد بن نَصْر الخزاعي -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ(١)- قد بَذَلَ نَفْسَهُ للقَتْلِ في سَبِيلِ الدِّفاعِ عَنِ القُرآن، والرَّد علىٰ مَنْ زَعَم أنَّه مَخْلوق، وكذلك نُعَيْم بن حمَّاد(٢)، والبُوَيْطِي(٣)، ومُحمَّد بن نُوح الجندَيسابُوري، كلهم قَدْ صَبَرُوا علىٰ الحَبْسِ،

---

(١) هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم، الإمام الكبير، أبو عبد الله الخُزاعي، المروزي ثم البغدادي، كان أَمَّارًا بالمَعروف، قوَّالًا بالحقِّ. قتله الواثقُ سنةَ إحدىٰ وثلاثين ومائتين لَمَّا أبىٰ أن يُجيبَه إلىٰ القول بخلق القرآن. انظر: «تاريخ الطبري» (٩/ ١٣٥ - ١٣٩)، و«تاريخ بغداد» (٥/ ١٧٣ - ١٧٦).

(٢) هو نُعَيْمُ بنُ حَمَّادِ بنِ مُعَاوِيَةَ الخُزَاعِيُّ، قال ابنُ المبارك: حُمِلَ إلىٰ العِرَاقِ فِي امْتِحَان: القُرْآن مَخْلُوق، مَعَ البُوَيْطِيِّ مُقَيَّدَيْنِ، فَمَاتَ نُعَيْمٌ بِالعَسْكَرِ سنة (٢٣٠هـ). انظر: «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٦٢)، و«تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٠٦، ٣١٤).

(٣) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيىٰ المصري البويطي، صاحب الشافعي، حُمِل في أيام الواثق بالله من مصر إلىٰ بغداد في مدة المحنة، وأريد علىٰ القول بخلق القرآن الكريم، فامتنع من الإجابة =

والمَوْتِ في القيود، ولَمْ يَجيبوا إلىٰ القَوْلِ بِخَلقِ القُرآن.

فَلَوْ كَانَ الذَّبُّ عَنِ القُرآن، والرَّدُّ عَلىٰ مَنْ زَعم أنَّه مَخْلوق مِن فُضُولِ العِلمِ، ومِنَ المَسائِلِ التِي لَيْسَ لَهَا كَبير فائِدة لَمَا تحمَّل هؤلاء ما تَحَمَّلوه مِنَ الأذىٰ، والصَّبْر علىٰ ما نالهم في سَبِيل اللهِ، ولما كان أكابِر العُلَماء مِنْ أهلِ السُّنَّةِ، والحَديث يتَّفِقون علىٰ تَكْفِير مَن يَقُول بخَلقِ القُرآن، ويَأمُرون بِهَجْرِهِم، ومُجَانبتهم.

فَكُل هذا ممَّا يُعَظِّمُ شَأن المَسْألة، ويُبَيِّنُ غَلط الشَّوْكاني، ويَرُدُّ علَيهِ، وعلىٰ مَن اغترَّ بقَوله، وقد رَوَىٰ البُخَاريُّ في كتابِ «خَلْقُ أَفْعَالِ العِبادِ» عن وَكِيع أنَّه قَالَ: «لا تَستَخِفُّوا بِقَولِهِم: القُرآن مَخْلوق، فإنَّه من شَرِّ قَولهم، وإنَّما يَذْهَبُونَ إلىٰ التَّعْطِيلِ».

وفي صفحة (١٠) ذَكَرَ المُؤَلِفُ أَثَرَ مِحنةِ القَول بِخَلق القُرآن في صُفوفِ الرواةِ، والمُحدِّثينَ، وكُتُبِ الجرحِ والتَّعديل، ثُمَّ قَالَ: «وجُرِحَ بِهَا أقْوامٌ مِنَ العُلَماء، والمُحدِّثينَ، والفُقَهاءِ، والقُضاةِ، والرواةِ الثِّقاتِ الأثْبَات؛ إذْ توقَّفوا فيها، فَلَمْ يقولوا شَيئًا، أو قَالَوا فيها قَوْلًا عادلًا لا إفْراط فيهِ، ولا تَفْريط».

وأقُولُ: هذا الكَلامِ فِيهِ تَعريضٌ بِتَخْطئَةِ الإمامِ أحْمَدَ -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ-، والرَّدُّ عَلَيْهِ، وعلىٰ غَيْرِهِ من أكَابِرِ العُلَماءِ الذين تَكلَّموا فِي اللَّفظيَّةِ(١)، والواقِفَةِ(١)،

=

إلىٰ ذلك، فحبس ببغداد، ولم يزل في السجن والقيد حتىٰ مات سنة (٢٣١هـ)، وكان صالحًا متنسكًا عابدًا زاهدًا رحمه الله. انظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٩٩)، و«وفيات الأعيان» (٧/ ٦١).

(١) **اللفظية نوعان:**

١- لفظية نافية: وهم الجهمية، الذين يقولون: إن ألفاظنا وتلاوتنا للقرآن مخلوقة، وأن التلاوة غير المتلوِّ، والقراءة غير المقروء، وقد بيَّن الإمامُ أحمدُ أن قولهم هذا يُفضي إلىٰ القول بخلق

=

وألحَقُوا العَارِفِينَ مِنْهم بالجَهْمِيَّةِ، وأمَرُوا بِهَجْرِهِم، ومُجَانَبَتِهِم؛ واللَّفظِيَّةُ هُم الذين يَزْعُمُ المُؤلِفُ أنَّهم قَالَوا في مَسألَةِ خَلْق القُرآن قَوْلًا عادِلًا لا إفْراط فِيهِ، ولا تَفْرِيط.

وقَوْلُهم هو الذي قَرَّرهُ الكَوْثري كَما سَبَقَ ذِكْرُهُ، وزَعَمَ أنَّ آراءَ أهلِ العلمِ والفَهْمِ قد اسْتَقَرَّت عليه، وقد جَاءَ المُؤلفُ بهذه الجُملةِ الأخِيرةِ يُؤَيِّدُ بها ما تَقدَّمَ في كلامِ الكَوْثري، وما أعْظَم ضررَ التَّقليد، والتَّحيُّز إلىٰ أهلِ الباطلِ!

وقد قَالَ عبدُ اللهِ ابن الإمام أحمد في كتابِ «السُّنَّة»: سَمِعْتُ أبي سُئِلَ عن الوَاقِفَةِ فقَالَ أبي: «مَن كان مِنْهُم يُخاصِمُ، ويُعرفُ بالكلامِ، فهو جَهمي، ومن لم يَكُنْ يُعْرَفُ بالكَلامِ يُجانَبُ حتَّىٰ يَرْجِعَ، ومن لم يَكُنْ لهُ عِلمٌ يَسأل يتعلم»(٢).

وقَالَ عبدُ اللهِ أيضًا: سُئِلَ أبي، وأنا أسْمَعُ؛ عن اللَّفظِيَّةِ، والوَاقِفَةِ، فَقَالَ: «مَن

=

القرآن، وأول من قال بأن التلاوة مخلوقة حُسين الكرابيسي، وداود الأصفهاني.

٢- لفظية مُثبِتة: وهم قوم من أهل السنة والحديث قابلوا النفاة فقالوا: تلاوتنا بالقرآن غير مخلوقة، وألفاظنا غير مخلوقة، وإن التلاوة هي المتلوُّ، والقراءة هي المقروء، فردوا الباطل بباطل آخر.

انظر: «الرسالة الكيلانية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٣٧٢)، و«البدء والتاريخ» للمقدسي (٥/ ١٤٩).

(١) الواقفة: هم الذين يتوقَّفون في القُرآن، فلا يقولون: مخلوق، ولا غيرُ مخلوق، وقد ذمَّهم مَن لا يُحصىٰ عددُهم من الأئمة، كالإمام أحمدَ والشافعي وإسحاق بن راهوية وغيرهم. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٤٢٠).

(٢) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٩) (٢٢٣).

كان مِنْهم جاهِلًا لَيْسَ بِعالِم، فليَسأَلْ، وليَتَعَلَّمْ»(١).

وسَمِعْتُ أبي مرَّة أُخرىٰ، وسُئِلَ عن اللَّفْظِيَّةِ، والواقِفَةِ، فقَالَ: «من كان مِنْهم يُحسِن الكَلام؛ فَهُوَ جَهْمِي»، وقَالَ مرَّة أُخرىٰ: «هُم شَر من الجَهميَّة»(٢).

وذَكَرَ القاضِي أبو الحسين في كِتابِهِ «طبقاتُ الحنابِلَةِ» عن شاهين بن السَّمَيْدَع(٣) أنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أبا عبد اللهِ أحمد بن حَنبَل يَقُول: «الوَاقِفَةُ شَرٌّ مِنَ الجَهميَّةِ، ومن قَالَ: لَفْظِي بالقُرآن مَخْلوق، فهو كافِر. قَالَ: وسَألتُ أبَا عبد اللهِ عمَّن يقول: أنا أَقِفُ في القُرآن تَوَرُّعًا قَالَ: ذاكَ شاكٌّ في الدِّينِ، إجماعُ العُلَماءِ والأَئِمَّةِ المُتَقَدِّمِينَ علىٰ أنَّ كَلامَ اللهِ غَيْر مَخْلوق، هذا الدِّينِ الذي أدرَكتُ علَيه الشُّيُوخَ، وأدرَكوا مَنْ كان قَبْلَهم علىٰ هذا»(٤).

وقَالَ سَمِعْتُ أبا عبد اللهِ يَقُول: «مَن قَالَ: لَفْظِي بالقُرآن مَخْلوق، فهو كافر»(٥).

وقَالَ: سَمِعْتُ أبا عبد اللهِ يَقُول: «من قَالَ: القُرآنُ مَخْلوق، فهو كافر، ومن شَكَّ

---

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٩) (٢٢٤).

(٢) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٩) (٢٢٥)، وأخرجه الخلال في «السُّنة» (٥/ ١٧٨٢، ١٧٨٧)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢١١١) بطريق المؤلف.

(٣) هو أبو سلمة العبدي، نقل عن الإمام أحمد أشياء، انظر ترجمته في: «طبقات الحنابلة» لأبي الحسين بن أبي يعلىٰ (١/ ١٧٢، ١٧٣).

(٤) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٧٢).

(٥) انظر: المرجع السابق.

فِي كُفْرِهِ، فَهُوَ كَافِر».

وذَكَرَ القَاضي أبُو الحسين -أيضًا- عَن يَعْقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقِي قَالَ: سألتُ أحمد بن حَنبَل عمَّن يَقول: القُرآن مَخْلوق، فقَالَ: «كُنْتُ لا أُكَفِّرُهُم حتَّىٰ قَرَأْتُ آياتٍ مِنَ القُرآن: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الرعد: ٣٧]، وقَوْلَهُ: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقَوْلَهُ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، فالقُرآن مِن عِلْمِ اللهِ، ومَنْ زَعَمَ أنَّ عِلْمَ اللهِ مَخْلوق، فهو كافِر، ومَنْ زَعَمَ أنَّهُ لا يَدْري عِلْم اللهِ مَخْلوق، أو ليس بمَخْلوق، فهو كافر أشَر مِمَّن يَقُول: القُرآن مَخْلوق»(١).

وقَالَ أبو داود في كِتابِ «المَسائِل»: «سَمِعْتُ أحمد ذَكَرَ رَجُلَينِ كانَا وقَفا في القُرآن، ودَعَيا إلَيهِ، فَجَعَل يَدعو عَلَيهِما، وقَالَ في هذا لِأحدِهما فِتْنة عَظيمة، وجَعل يَذكرهما بالمَكْروه»(٢).

وقَالَ أبو داود أيضًا: «رَأَيْتُ أحمد سلَّم عليْهِ رَجُل من أهلِ بَغداد مِمَّن وقف فيما بَلَغني، فَقَالَ لَهُ: أُغْرُبْ، لا أَرَيَنَّك تَجيء إلىٰ بابي -في كلامٍ غليظ-، ولم يَرُد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقَالَ له: ما أحْوَجَكَ إلىٰ أنْ يُصْنَعَ بِك ما صنَع عُمر بصَبِيغ!»(٣).

وقَالَ أبو داود أيضًا: سَمِعْتُ إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، يَقُول: «مَن قَالَ: لا

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) «مسائل الإمام أحمد» رواية أبي داود (١/ ٣٣٥) (١٧٠٥).

(٣) «مسائل الإمام أحمد» رواية أبي داود (١/ ٣٣٥) (١٧٠٧).

أقُول: القُرآن مَخْلوق، ولا غَيْر مَخلوق؛ فهو جَهْمي»[١].

وقَالَ أبو داود أيضًا: سَمِعْتُ قُتَيْبَةَ بنَ سعيد قِيلَ لَهُ: الوَاقِفَةُ، فقَالَ: «هؤلاء - يَعْني الوَاقِفَةَ- شَرٌّ مِنهم. يعني: مِمَّن قَالَ: القُرآن مَخْلوق».

وقَالَ أبو داود أيضًا: سَمِعْتُ عُثْمان بن أبي شَيْبَة يَقول: «هؤلاء الذين يَقُولونُ: كَلامُ اللهِ، ويَسْكُتونَ شَرٌّ من هَؤلاءِ. يعني: مِمَّن قَالَ: القُرآن مَخْلوق».

وقَالَ أبو داود أيضًا: سَألتُ أحمد بن صالح المصري عَمَّن يَقُولُ: القُرآن كَلامُ اللهِ، ولا يَقُولُ: مَخْلوق، ولا غَير مَخْلوق. قَالَ: «هذا شاكٌّ».

وقَالَ أبو داود أيضًا: سَمِعْتُ عبدَ اللهِ بن مُحمَّد أبا مُحمَّد الضَّعيف قَالَ: «قَعَدُ الخَوارِجِ هُم أخْبَثُ الخَوارج، وقَعَدُ الجَهْمِيَّةِ هُم الوَاقِفَة».

وقَالَ أبو داود أيضًا: سَمِعْتُ مُحمَّد بن مقاتل العباداني، وكان مِن خِيَارِ المُسْلِمِينَ يَقُول في الوَاقفة: «هُم عندي شَرٌّ مِنَ الجَهْمِيَّةِ».

وقَالَ أبو داود أيضًا: سَمِعْتُ أحمد بن صالح ذَكَرَ اللَّفْظِيَّةَ فقَالَ: «هؤلاء أصحاب بِدعة، ويَدخُل عليهم أكثَر مِنَ البِدعة».

وقَالَ أبو داود أيضًا: «سَمِعْتُ إسحاقَ بن إبراهيم سُئِلَ عَنِ اللَّفْظِيَّةِ فَبَدَّعَهُم».
وقَالَ أبو داود أيضًا: حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقِي أنَّ أحمد بن مُحمَّد بن حَنبَل قَالَ له: «إنَّ اللَّفْظِيَّةَ إنَّما يَدُورُون علىٰ كَلام جَهم، يَزعمونَ أنَّ جِبْريل إنَّما جاء بشَيءٍ

(١) انظر: المرجع السابق (١/ ٣٣٥) (١٧٤٤)وما بعده.

مَخْلوق إلىٰ مَخْلوق»، يعني لأنَّ جبريل مَخْلوق جَاءَ بِهِ إلىٰ مُحمَّد صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقَالَ أبو داود أيضًا: حدَّثَنَا أحمد بن إبراهيم قَالَ: سَألتُ أحمد بن حَنبَل قُلْتُ: هؤلاء الذين يَقُولونَ: إنَّ ألفاظَنَا بالقُرآن مَخْلوقة، قَالَ: «هذا شَرٌّ من قَوْلِ الجَهْمِيَّةِ، مَن زَعَمَ هذا فَقَد زَعَمَ أنَّ جِبريل جَاءَ بمَخْلوقٍ، وأنَّ النَّبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تَكَلَّمَ بمَخْلوقٍ».

وقَالَ عبدُ الله ابن الإمام أحمد في كتاب «السُّنَّةُ»: حدَّثَنِي غياث بن جعفر، سَمِعْتُ سُفْيَان بن عُيَيْنَة يَقُول: «القرآن كَلامُ اللهِ، مَنْ قَالَ: مَخْلوق، فَهُوَ كافر، ومن شَكَّ في كُفْرِهِ، فَهُوَ كافر»(١).

وقَالَ عبدُ اللهِ أيضًا: حدَّثني مُحمَّد بن إسحاق الصغاني قَالَ: قَالَ يحيىٰ بن أيوب، وذكرنا لَهُ الشُّكَّاكَ الذين يَقُولُونَ: «لا نَقول: القرآن مَخْلوق، ولا غير مَخْلوق»، فقَالَ يحيىٰ بن أيوب: «كُنْتُ قُلْتُ لابن شدَّاد صديق لي: من قَالَ هذا، فَهو جَهْمِي صَغِير»، قَالَ يحيىٰ: «وهو اليَوْمَ جَهْمِي كَبِير»(٢).

وقَالَ عبدُ اللهِ أيضًا: حدَّثني أبو عبد اللهِ السلمي مهنا، سَألتُ أبا يَعقوب الخزاز إسحاق بن سليم عن القرآن، فقَالَ: «هُوَ كَلام اللهِ، وهُوَ غير مَخْلوق»، ثُمَّ قَالَ لي: «إذا كنَّا نَقُول: القُرآن كَلام اللهِ، ولا نَقُول: مَخْلوق، ولا غير مَخْلوق، فَلَيْس بَيْنَنَا وبَيْنَ هؤلاء الجَهْمِيَّة خِلاف». قَالَ: فَذَكَرتُ ذلك لأحمد بن حَنبَل، فقَالَ لي أحمد: «جَزَىٰ

---

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١١٢) (٢٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ١١٢) (٢٢٦).

اللهُ أبا يَعقُوب خَيرًا»[١].

وذَكَرَ القَاضِي أبو الحسين في «طَبَقَاتِ الحَنَابِلة» في تَرجمةِ الحُسَين بن علِي أبي علِي، أنَّه ذَكَرَ في كِتَابِهِ الذي صَنَّفَهُ في «السُّنَّةِ»[٢]: أنَّ مَنْ قَالَ: لَفْظِي بالقُرآن مَخْلوق، أو القُرآن بِلَفظي مَخلوق، فَهُوَ جَهْمِي، والجَهْمِيَّةُ عِنْدَنا كفَّار، واللَّفظِيَّةُ زَنادِقَة هذه الأُمَّةِ، وهُم أشد علىٰ النَّاسِ التِبَاسًا، وتَشْبِيهًا[٣].

وقد تقدَّمَ ما رَوَاهُ ابنُ جرير عن أَبِي إسماعيل التِّرمِذِي قَالَ: سَمِعْتُ أبا عبد اللهِ أحمد بن حَنبَل رَحِمَهُ اللهُ يقُول: «اللَّفْظِيَّةُ جَهْمِيَّةٌ، قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] مِمَّن يَسْمَعُ؟!»، وقد رَوَاهُ القَاضِي أبو الحُسين في «طَبَقات الحَنابِلَةِ» من طَريقِ ابن جرير.

وَذَكَرَ القَاضِي أبو الحسين أيضًا: عَن مُحمَّد بن شدَّاد الصَّفدي قَالَ: سَمِعْتُ أحمد بن حَنبَل، وتَذاكَرْنا أمْرَ القُرآن، فقَالَ: «هو من حَيثُ تصرَّف غير مَخْلوق، واللَّفظُ بالقُرآن من قَالَ: هُوَ مَخْلوق؛ فَهذا من قَوْلِ جَهْمٍ، والنَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقول: «مَنَعوني أنْ أُبَلِّغَ كَلامَ ربِّي عَزَّوَجَلَّ»، وقَالَ اللهُ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، قَالَ: وقَالَ أحمد: «لا يُجالَسْ مَن قَالَ: لَفْظي بالقُرآن مَخْلوق، ولا يُصلَّىٰ خَلْفَهُ، فإنَّ هذا مِن قَوْلِ جَهم»[٤].

---

(١) انظر: المرجع السابق (١/ ١١٢) (٥٢٧).

(٢) لم أقف علىٰ مُصنَّفِه هذا.

(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٤٢).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٩٩).

وذَكَرَ إسحاق بن إبراهيم بن هَانئ النَّيسابُوري في كتابِ «مَسائِلُ الإمام أحمد بن حَنبَل»: أنَّ أحمد سُئِلَ عمَّن يَقول: (لَفظِي بالقرآن مَخْلوق)؛ أيُصلَّىٰ خلفَهُ؟ فقَالَ: «لا يُصلَّىٰ خَلفَهُ، ولا يُجالس، ولا يُكلَّم، ولا يُسلَّم علَيه».

وفِيما نَقَلْتُهُ مِن أقوالِ العُلماءِ في ذَمِّ اللَّفظِيَّةِ، والواقِفَةِ كِفايةٌ في الرَّدِّ علىٰ من خالَفَ أهلَ السُّنَّةِ، ووافَقَ أهل البِدعةِ.

وفي هامِش صفحة (١٢) ذَكَرَ المُؤلِّف أنَّ البُخَاريَّ قَرَّرَ في كتابِهِ «خَلْقُ أفعالِ العبادِ» أنَّ المِدادَ، والرَّقَّ -أي: الوَرَقَ-، والكِتابَةَ والحِفْظَ للقُرآنِ، وأصواتَ العِبادِ بِهِ كُلها مُؤلَّفة مَخْلوقة مِنْ فِعْلِ المَخْلوقين، وأنَّ القُرآن صِفةُ اللهِ تعالىٰ، وهو قول الجبَّار، أنطَقَ بِهِ عِبادَه، وكَذلِك تَواتَرت الأخبار عَنِ النَّبِي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ القُرآن كَلامُ اللهِ.

وأقُولُ: إنَّ هذِهِ الجُملة قد لَخَّصها المُؤلف مِن عدَّة مَواضِع من كتابِ «خَلقُ أفعالِ العبادِ»، وأدخَلَ فِيها أحرُفًا لَيست في كَلامِ البُخَاريِّ؛ مِنها قَولُهُ: «للقرآن» بعد قوله: والحفظ، ومنها قَوله: «به» بعد قَوله: وأصوات العباد، ومنها قوله: «كُلها مُؤلَّفة من فِعلِ المَخْلوقِينَ»، وكان يَنبَغي للمُؤلِفِ أنْ يَلتَزِمَ الأمانَةَ في إيرادِهِ لأقوالِ البُخَاريِّ بِحَيث لا يَدخُل فِيها ما لَيس مِنها، ولاسيَّما إذا كان المَزيد ممَّا يُفسِدُ الكلام، ويُغَيِّر مَعناه.

وهذه الأحرف المَزيدة في بَعضِها إفْساد لِبعضِ كلامِ البُخاريِّ، وتَغيير لمَعناهُ، وإحالة لَهُ إلىٰ قَولِ مَنْ يَقول مِنَ الجَهميَّةِ: إنَّ اللَّفظَ بالقُرآن مَخْلوق، فَمِنْ هذه الأحرف قوله: «به» أي: في قَولِهِ: وأصوات العباد بِهِ -أي: بالقرآن- كُلُّها مُؤلَّفة

مَخْلوقة مِن فِعلِ المَخْلوقين.

وهذه العِبارة لا فَرق بَيْنَها وبَين قَول مَن يَقُول مِنَ الجَهْمِيَّةِ: إنَّ ألفَاظَنَا بالقُرآن مَخْلوقة، فإنْ كان المُؤلِّفُ قد أدخَلَ هذا الحَرفِ في كَلامِ البُخَاريِّ مُتعَمِّدًا؛ فَما أعظَمَ ذلك وأبشَعه!! وإنْ كان قد أدخَلَهُ سَهوًا، أو لِعدم عِلمِهِ بِما يَدُل علَيهِ مِن إحالَةِ المَعنىٰ إلىٰ قَولِ اللَّفظِيَّةِ؛ فَيَنْبَغِي لَهُ أنْ يَسْتَدرِكَ ذلك، ويُنَبِّهَ علَيه.

وفيما قَرَّرهُ البُخَاريُّ في كِتابِ «خَلقُ أفعالِ العبادِ» كِفاية في الرَّدِّ علىٰ عبارة المُؤلف، وما تَدلُّ علَيهِ مِن مُوافَقَةِ اللَّفظِيَّةِ الذين يزعمونَ أنَّ ألفاظَهُم بالقُرآن مَخْلوقة.

وقد ذَكَرَ أبو داود في كتابِ «المَسَائِل»، وعبدُ الله ابن الإمام أحمد في كِتابِ «السُّنَّة» أنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: سُئِلَ عن رَجُلٍ يَقُول: «ألفاظُنا بالقُرآن مَخْلوقةٌ والقُرآنُ كَلامُ اللهِ وليس بمَخْلوق، فقَالَ: هذا يُجانَب، وهو فَوقَ المُبتَدع، وما أُراهُ إلا جَهميًّا، وهذا كَلامُ الجهميَّةِ، القرآنُ ليس بمَخْلوق»(١).

وأمَّا قَولُ المُؤلِّف: «والحفظ للقرآن»، فهي كَلِمة مُجملة يُحتمل أنْ يُرادَ بها أنَّ الحفظَ والمَحفوظَ مَخْلوق؛ وهذا من أقوال الجَهْمِيَّة.

ويُحتَمَلُ أنْ يُرادَ بها أنَّ الحِفظَ مَخْلوق، والمَحفُوظَ غَيْر مَخْلوق، وهذا قَولِ أهلِ السُّنَّةِ، وحيث كانت هذه الكَلِمَةِ تَحتَمِلُ المَعنيَيْنِ، فَإنَّ إدخالَها في كَلامِ البُخَاريِّ يُعَدُّ جِنايةً عَلَيهِ.

---

(١) «مسائل الإمام أحمد» رواية أبي داود (١/ ٣٦٣) (١٧٥١).

وأمَّا قَولُهُ: «كُلُّها مُؤلَّفة من فِعلِ المَخْلوقينَ»، فهذه الجُملة عائِدة إلىٰ ما قبلها مِنَ الجُمَلِ، وأخصها بِها الجُمْلة التي تَلِيها، وهي قوله: «وأصواتُ العِبادِ بِهِ -أي: بالقرآن-»، وعلىٰ هذا يَكون المَعنىٰ أنَّ أصواتَ العِبادِ بالقُرآن كُلها مُؤلَّفة مِنْ فِعلِ المَخْلوقينَ، وهذا هو قَول اللَّفظيَّةِ بعِينِهِ:

فَـإنْ كُنـتَ لا تَـدري فَتِلـك مُصـيبةٌ وإنْ كُنـتَ تَـدري فالمُصـيبةُ أعظَـمُ

وقَالَ المُؤلِّفُ في صفحةِ (١٥): «وقد كان بَيْنَ الإمام أحمد بن حَنبَل وصاحِبِهِ الحُسين بن علي الكرابيسي[1] -أحَد مَنْ حَمَلَ العِلمَ عَنِ الإمام الشَّافعي- صَداقَةٌ، وصُحبَةٌ قَويَّة، فَلمَّا وقَعَتِ المِحنَةُ فرَّقَت بينَهما، وأبدَلَت صَداقَتَهُما وأُخُوَّتَهما الوَكِيدةَ جَفوة وعداوة شَديدة».

ثُمَّ نَقَلَ المُؤلِّفُ في صفحَةِ (١٦) عَنِ ابن عبد البر أَنَّهُ قَالَ: «كانَت بَيْنَ الإمام أحمد بن حَنبَل والكرابيسي صَداقة وكيدة، فلمَّا خالَفَهُ في القُرآن عادَت تِلك الصَّداقة عَداوة».

وأقُولُ: ما جَاءَ في هذه الجُملة مِن دَعوىٰ الصَّداقة الوَكِيدة، والصُّحبة القَويَّة بَيْنَ الإمام أحمد، وبَيْنَ الحسين الكرابيسي، فَهُوَ مَردود بِما جَاء في كِتابِ «السُّنَّة» لِعبدِ الله ابن الإمام أحمد، فإنَّهُ قَالَ: «سَمِعْتُ أبي يَقول: من قَالَ: لَفظي بالقُرآن مَخْلوق، هذا كلام سوء رَدِيء، وهو كَلام الجَهميَّة. قُلتُ لَهُ: إنَّ الكرابيسي يَقول هَذا. قَالَ:

(١) هو الحُسين الكرابيسي، أبو علي بن يزيد، كان ممن يقول باللفظ، وكان بينه وبين الإمام أحمد وأهل السنة عداوة شديدة، توفي سنة (٢٤٨هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٦٤، ٦٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٩٧)، و«ميزان الاعتدال» (١/ ٥٤٤).

كَذَبَ هتكه اللهُ الخبيثَ، وقَالَ: قد خلف هذا بِشرًا المريسي.

وكان أبي يَكْرَهُ أنْ يتكلَّم في اللَّفظِ بشيءٍ، أو يُقَالَ: مَخْلوق، أو غير مَخْلوق».

قَالَ: «سَألتُهُ عن الكرابيسي حُسين هل رَأيتُهُ يَطلُبُ الحَديث؟ فقَالَ: ما أعرِفُهُ، وما رَأيتُهُ يَطلُبُ الحَديثَ. قُلتُ: فَرَأيتُهُ عِندَ الشَّافِعي ببغداد، فقَالَ: ما رَأيتُهُ، ولا أعرِفُهُ، فَقُلتُ: أنَّهُ يَزعم أنَّه كان يَلزم يَعقوب بن إبراهيم بن سعد، فقَالَ: ما رَأيتُهُ عِندَ يَعقوب بن إبراهيم بن سعد، ولا غيره، وما أعرِفُهُ(١).

وسألتُ أبا ثور إبراهيم بن خالد الكلبي عن حسين الكرابيسي؛ فتكلَّم فِيهِ بكلامِ سوء رديء، وسألتُهُ: هل كان يَحضُرُ مَعَكُم عِندَ الشَّافعي؛ فقَالَ: هو يَقول لنا ذاك، وأمَّا أنا، فلا أعرِف ذاك، أو نحو هذا مِنَ الكَلامِ».

قَالَ: «وسَألتُ الحسن بن مُحمَّد الزعفراني عن حسين الكرابيسي، فقَالَ نَحوَ مَقَالَة أبي ثور، وقَالَ لي حسن في اختلافِهِ إلىٰ الشَّافعي مثل قول أبي ثَور»؛ انتهىٰ(٢).

وفي قَولِ الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ- أنَّهُ ما كان يَعرف الكرابيسي أبلَغ رد علىٰ ما جاء في كَلامِ المُؤلِفِ مِنْ زعم الصَّداقة، والصُّحبة القويَّة، والأُخوَّة الوَكيدة بَيْنَ الإمام أحمد بن حَنبَل، والكرابيسي.

وكذلك فِيهِ رد علىٰ ما نَقَلَهُ المُؤلِّف عن ابن عبد البر أنَّه قَالَ: «كانت بَيْنَ الإمام

---

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: المرجع السابق.

أحمد بن حَنبَل، والكرابيسي صَداقة وكِيدة»؛ فَكل هَذا مَردود بِقَولِ الإمام أحمد أَنَّهُ ما كان يَعرف الكرابيسي.

وفي صَفحة (١٦) نَقَلَ المُؤلِّفُ عن ابن عبد البر أَنَّهُ قَالَ في «الانتقاء» (ص١٠٦): «كان الكرابيسي، وعبدُ اللهِ بن كُلَّاب، وأبو ثور، وداود بن علي، وطَبَقاتُهُم يَقُولونَ: إنَّ القُرآن الذي تَكلَّم اللهُ بِهِ صِفة مِنْ صِفاتِهِ، لا يَجوز عَلَيهِ الخَلق، وأنَّ تلاوَةَ التَّالِي، وكَلامَهُ بالقُرآن كَسْبٌ لَهُ، وفِعلٌ لَهُ، وذلك مَخْلوق، وأَنَّهُ حِكاية عَن كَلامِ اللهِ، وليس هو القُرآن الذي تكلَّم اللهُ بِهِ».

وأَقُولُ: إنَّ عَدَّه لِأبي ثَور مع الكرابيسي، وابن كُلَّاب، وداود بن علي فِيهِ نظر؛ فقد رَوىٰ الخَطيب في «تاريخ بَغداد»: عن مُوسىٰ بن عُبَيْدِ اللهِ بن يحيىٰ بن خاقان قَالَ: قَالَ لي عمِّي: سَألتُ أبا عبد الله أحمد بن مُحمَّد بن حَنبَل عَنِ المَعروف بأبي ثور، فقَالَ: «ما بَلَغني عَنْهُ إلا خَير، إلا أَنَّهُ لا يعجبني الكلام الذي يُصيِّرونَهُ في كتبهم».

وروىٰ الخطيب أيضًا: عن أبي بكر الأعين قَالَ: سألت أحمد بن حَنبَل ما تقول في أبي ثور؟ قَالَ: «أعرِفَهُ بالسُّنَّةِ مُنذُ خَمسين سنة، هو عِندي في مسلاخ سُفيان الثَّوري»[1].

وروىٰ الخطيب أيضًا: عن أحمد بن مُحمَّد بن خالد البراثي قَالَ: كُنتُ عِندَ أحمد بن حَنبَل، فسألَهُ رجل عن مَسألَةٍ في الحلال والحرام، فقَالَ له: «سَلْ -عافاكَ اللهُ- غيرَنا. قَالَ: إنَّما نُريد جوابَكَ يا أبا عبد الله، فقَالَ: «سَلْ -عافاكَ اللهُ- غيرَنا، سَلِ

(١) «تاريخ بغداد» (٦/ ٦٦).

الفُقَهاءَ، سَلْ أبا ثَور».

وروىٰ **الخَطيب أيضًا**: عَنِ النسائي أَنَّهُ قَالَ: «أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي ثِقَةٌ مَأمون أحدُ الفُقهاء»(١).

وأقُولُ أيضًا: إنَّ القُرآن الذي تكلَّم اللهُ بِهِ هو الذي نَزَلَ بِهِ جبريلُ علىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَرَأَهُ عَلَيهِ، وبَلَّغَهُ رسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أصحابِهِ، وقَرَأَهُ عَليهِم، وبلَّغَهُ الصَّحابَةُ إلىٰ التَّابعينَ، وقَرَءُوهُ عَلَيهم، وبلَّغَهُ التَّابِعونَ إلىٰ مَن بعدهم، وقَرَءُوهُ عَلَيهم، وهو الذي يَقرَؤهُ المُسلِمونَ، ويَتلونهُ بألسِنَتِهِم، ويَكتبونه في مصاحِفِهِم، ويَحفَظونَهُ بِقُلوبِهِم، ويَسمَعُونَهُ من تِلاوَةِ التَّالِينَ.

وقد ذَكَرتُ الأدلَّةَ علىٰ ذلك مِنَ الكِتابِ والسُّنَّةِ في أول هذه الرِّسالة بعد كلام الإمام أحمد الذي نَقَلَهُ عَنْهُ إبراهيم الحربي؛ فَلتُراجَعْ، فَفيها أبْلغ رد علىٰ من زعم أنَّ تِلاوَةَ التَّالِي، وكَلامَهُ بالقُرآن مَخْلوق، وأنَّهُ حِكايَةٌ عَن كَلامِ اللهِ، وليس هو القُرآنَ الذي تَكلَّمَ اللهُ بِهِ.

وفي صفحة (١٧) نَقَلَ المُؤلِّفُ ما ذَكَرهُ الحافِظُ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٤٦٢) في ترجمة نُعيم بن حمَّاد المَرْوَزِي: «قَالَ مسلمة بن قاسم: كان لَهُ مَذهَب سُوء في القُرآن، كان يَجعل القُرآن قُرآنَينِ، فالذي في اللَّوحِ المَحفوظِ كلام اللهِ تعالىٰ، والذي بأيدي النَّاس مَخْلوق»؛ انتهىٰ.

ثُمَّ تَعَقَّبَهُ الحافظ ابن حجر بِقَولِهِ: «كأنَّهُ يُريد بالذي في أيْدي النَّاس ما يَتلُونه

---

(١) انظر: المرجع السابق.

بألسِنَتهم، ويكتبونه بأيْديهم، ولاشك أنَّ المِدادَ، والوَرق، والكاتِب، والتَّالي، وصَوته مَخْلوق، وأمَّا كَلام اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فإنَّهُ غير مَخْلوق قطعًا».

قَالَ عبدُ الفتَّاح: «فانظُر إلىٰ ضِيق نَظر هذا الطَّاعن -وهو مَعدود مِنْ عُلَماءِ الحديث- الذي لا يَقبل التَّمييز بَيْنَ الذي تَكتُبه الأيدي علىٰ الورَق، وتَتْلوهُ الألْسِنَةُ المَخْلوقَةُ البَالِيَةُ، وبَيْنَ كَلام اللهِ تعالىٰ».

وأقُولُ: أمَّا نعيم بن حمَّاد فإنَّهُ كان مشهورًا بالتَّمسُّكِ بالسُّنَّةِ، والرَّدِّ علىٰ الجَهمِيَّةِ، ولذلك امتَنَعَ مِنَ القَوْلِ بِخَلقِ القُرآن، وصَبَرَ علىٰ الحَبسِ عِدَّة سنين حتَّىٰ مات في السِّجنِ.

قَالَ الدَّارقُطنِيُّ: إمامٌ في السُّنَّةِ كثير الوَهم، ذَكَرَهُ الخَطيب في «تَاريخِهِ»، وروىٰ بإسنادِهِ عن عبدِ الله ابن الإمام أحمد عن أبِيهِ قَالَ: «كان نُعَيمٌ كاتبًا لأبي عِصْمة، وكان أبو عصمة شَديد الرَّدِّ علىٰ الجَهْميَّةِ، وأهلِ الأهواءِ، ومِنهُ تَعلَّم نُعيمُ بن حمَّاد»(١).

وروىٰ أيضًا: عن أبي بكر الطرسوسي قَالَ: «أُخِذَ نُعيم بن حمَّاد في أيَّام المِحنَةِ سنة ثلاث وعشرين، أو أربع وعشرين -يعني بعد المائتين-، وألقوه في السِّجنِ، ومات في سنةِ سبع وعشرين، وأوصىٰ أنْ يُدفَنَ في قُيودِهِ، وقَالَ: إنِّي مُخاصِم»(٢).

وروىٰ أيضًا: عن مُحمَّد بن سعد قَالَ: «نُعيم بن حمَّاد كان من أهلِ مَرْوَ، وطَلَبَ الحِديثِ طَلَبًا كَثيرًا بالعِراق، والحِجاز، ثُمَّ نَزَلَ مِصرَ، فَلَمْ يَزَلْ بِها حتَّىٰ

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٠٨).

(٢) انظر: المرجع السابق.

أشخص مِنها في خِلافة أبي إسحاق بن هارون، فسُئِلَ عَنِ القُرآن، فأبىٰ أنْ يُجيبَ فيهِ بشيءٍ ممَّا أرادُوهُ عليه؛ فحُبِسَ بسامراء، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا بِها حتَّىٰ مات في السِّجنِ في سنةِ ثمان وعشرين ومائتين».

وروىٰ أيضًا: عن أبي سعيد بن يُونس نَحو ما رواه عن مُحمَّد بن سعد.

وروىٰ أيضًا: عن إبراهيم بن مُحمَّد بن عرفة قَالَ: «سنة تِسع وعِشرينَ ومائتينِ فيها مات نعيم بن حمَّاد، وكان مُقيَّدًا مَحبُوسًا لِامتِناعِهِ مِنَ القَولِ بِخَلقِ القُرآن، فَجُرَّ بأقيادِهِ، فَأُلقِيَ في حُفرةٍ، ولم يُكفَّنْ، ولم يُصَلِّ عليهِ، فَعَلَ ذلك بِهِ صاحب ابن أبي دُؤاد»(١).

فأمَّا ما ذَكَرَهُ مَسلمة بن قاسم عن نُعيم بن حماد أنَّهُ كان لَهُ مَذهب سوء في القُرآن... إلىٰ آخر كَلامِهِ الذي تقدَّم ذِكرُهُ، فعلىٰ تَقديرِ صحَّة ذلك وثُبوته عن نعيم، فهو مَحمُول علىٰ أنَّ ذلك كان مِنْهُ في أول الأمر، ثُمَّ رَجَعَ عنهُ إلىٰ قولِ أهل السُّنَّة والجماعة، لِما رواه الخطيب في «تاريخِهِ» من طريق مُحمَّد بن جرير الطبري قَالَ:

سَمِعْتُ صالح بن مسمار يَقُول: سَمِعْتُ نُعيم بن حمَّاد يَقُول: «أنا كُنْتُ جهميًّا، فلذلك عَرفت كَلامَهُم، فلمَّا طَلَبْتُ الحديث عَرَفْتُ أنَّ أمرَهُم يَرجع إلىٰ التَّعطيل».

وقَد تقدَّم أنَّ أبا عصمة كان شَديدَ الرَّدِّ علىٰ الجَهميَّةِ، ومِنْهُ تعلَّم نُعَيم بن حمَّاد.

وقَالَ البُخَاريُّ في كتابِ «خَلقُ أفعالِ العبادِ»: «ولقد بَيَّنَ نُعَيمُ بنُ حَمَّادٍ أنَّ كَلامَ الرَّبِّ ليس بخلق، وأنَّ العربَ لا تَعرفُ الحيَّ مِنَ الميِّتِ إلَّا بالفِعلِ، فَمنْ كان لَهُ

(١) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣١٥).

فِعْلٌ؛ فَهُوَ حيٌّ، ومن لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعل؛ فهو ميِّتٌ، وأنَّ أفعالَ العِبادِ مَخْلوقَةٌ؛ فضُيِّق علَيه حتَّىٰ مَضىٰ لِسَبيلِهِ، وتَوجَّع أهلُ العلمِ لِمَا نَزلَ بِهِ.

وفِي اتِّفاقِ المُسلمينَ دَليلٌ علىٰ أنَّ نُعَيْمًا، ومَن نَحا نَحوَهُ ليس بِمُفارِق، ولا مُبتدِع، بل البِدعُ والرَّئيسُ بالجهلِ بِغَيْرِهِم أولىٰ؛ إذْ يُفتون بالآراءِ المُختَلِفَةِ ممَّا لَمْ يَأذَنْ بِهِ اللهُ»؛ انتهىٰ كَلامُ البُخَاريِّ(١).

وفِيما ذَكَرَهُ كِفاية فِي الرَّدِّ علىٰ ما ذَكَرَهُ مَسلمة بن قاسم عن نُعَيْمِ بن حَمَّادٍ، لأنَّ ما ذَكَرَهُ البُخَاريُّ عَنْهُ يَقتَضِي التَّفريقَ بَيْنَ أفعالِ العِبادِ التي هي حَرَكاتهم، وأَصْواتُهم، وكِتابَتهم، وحِفْظهم، وبَيْنَ القُرآن المَتلُّو المَكتوب في المصاحِفِ المَحفوظ في القُلوبِ، فأَفعالُ العِبادِ مَخْلوقة، والقُرآن كَلامُ اللهِ غير مَخْلوق.

وأمَّا قَول الحافظ ابن حجر: «ولا شكَّ أنَّ المِدادَ، والورَقَ، والكاتِبَ، والتَّالِي، وصَوْتَهُ كل مَخْلوق، وأمَّا كلام اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإنَّهُ غير مَخْلوق قَطعًا»؛ فهو حَقٌّ، وهو مُوافِقٌ لِمَا نَقَلَهُ إبراهيم الحربي عن الإمام أحمد، ولِمَا قَرَّرهُ البُخَاريُّ في كتابِ «خَلقُ أفعالِ العبادِ»، وقد ذَكَرْتُ ذلك فيما تقدَّم.

وأمَّا قَوْلُ المُؤلِّفِ: «فانْظُر إلىٰ ضيق نظر هذا الطَّاعن الذي لا يَقبَل التَّمييز بَيْنَ الذي تَكتبه الأيدي علىٰ الورقِ، وتَتلوه الألسِنةُ المَخْلوقَةُ البالِية، وبَيْنَ كلام اللهِ تعالىٰ».

---

(١) «خلق أفعال العباد» (١/ ٨٥).

فَجَوابُهُ من وُجُوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقَالَ: إنَّ القُرآن الذي تكتبه الأيْدي على الوَرَقِ، وتَتلُوه الألْسِنَةُ المَخْلوقَةُ البَالِيَة، وتَحفَظُهُ القُلوبُ، وتَسْمَعُهُ الآذانُ من تلاوَةِ التَّالِينَ - هو كَلامُ اللهِ تعالىٰ الذي أنْزَلَهُ مَعَ جِبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ عَبْدِهِ، ورَسُولِهِ مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمَرَهُ اللهُ أنْ يُبَلِّغَهُ، ويَتلُوهُ، ويَقْرَأَهُ على النَّاسِ.

قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقَالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإنسان: ٢٣].

وقَالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدخان: ١ - ٣]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ١ - ٤].

وقَالَ تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٠].

وقَالَ تعالىٰ: آمِرًا عبده ورَسُوله مُحمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَقُولَ: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

وفِيها مَعَ ما تَقدَّمَ مِنَ الآياتِ والأحادِيثِ أَبلَغُ رَدٍّ علىٰ مَن ادَّعىٰ التَّميز بَيْنَ الذي تكتبهُ الأيدي علىٰ الوَرَقِ، وتتلُوهُ الألْسِنَةُ المَخْلوقَةُ البالِيَةُ، وبَيْنَ كلام اللهِ تعالىٰ، فهذا التَّمييزُ المَزعومُ لا وُجودَ لَهُ إلَّا في أذهانِ اللَّفظِيَّةِ مِنَ الجَهْمِيَّةِ.

وهُم الذين يَزعمونَ أنَّ جِبريل إنَّما جاءَ إلىٰ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشيءٍ مَخْلوق، وأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما بَلَّغَ إلىٰ الأُمَّةِ شَيئًا مَخْلوقًا؛ فَخالَفوا القُرآنَ والسُّنَّةَ، وما كان عَلَيه أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ من نَفي الخَلقِ عَنِ القُرآن، وإثباتِ أنَّهُ كَلامُ اللهِ كَيْفَ ما تصرف؛ فَهُوَ الذي تَتْلُوهُ الألْسِنَةُ، وتَحفَظُهُ القُلوبُ، ويُكْتَبُ في المَصاحِفِ، ويُسْمَعُ بالآذان مِنْ قِراءَةِ القَارِئينَ لَهُ.

الوجه الثَّاني: أنْ يُقَالَ: إنَّ كَلامَ مَسلمة بن القاسم في إنكارِهِ علىٰ مَن يَجْعَل القُرآن قُرآنينِ، ليس بمُنكَرٍ كَما قَد تَوهَّمَ ذلك المُؤلِفُ، وإنَّما المُنكَر مِنه نسبة هذا القَوْلِ البَاطِلِ إلىٰ نُعَيم بن حَمَّاد الذي كان مَعْروفًا بالتَّمَسُّكِ بالسُّنَّةِ، والرَّدِّ علىٰ الجَهمِيَّةِ.

الوجهُ الثَّالث: أنْ يُقَالَ: إنَّ إنكارَ المُؤلِّفِ علىٰ مَسلمةَ بن قاسم يَدُلُّ دلالة واضِحة علىٰ أنَّ المُؤلِّفَ يَرىٰ صِحَّة ما أنكرَهُ مسلمة بن قاسم علىٰ الذين فرَّقوا بَيْنَ ما في اللَّوحِ المَحفوظ مِنَ القُرآن، وبَيْنَ ما في أيدي النَّاس مِنْهُ، فَجعَلوا الذي في اللَّوحِ

المَحفُوظِ كلام اللهِ تعالىٰ، وجَعَلوا ما في أيدي النَّاس مَخْلوقًا.

وهذا الذي ذَهَبَ إلَيْهِ المُؤلِّفُ، وسَمَّاهُ تَمييزًا هُوَ مَذهَبُ السُّوء في الحَقيقَةِ، وهو مِن أقْوالِ الجَهْمِيَّةِ، ولو أنَّ المُؤلِّفَ اقْتَصَرَ علىٰ كَلامِ الحافظ ابن حجر لكان علىٰ الصَّوابِ؛ لأنَّ الحافِظَ ابن حجر قد فرَّق بَيْنَ المِداد، والوَرق، والكاتِب، والتَّالِي، وصَوته؛ وبَيْنَ كلام اللهِ تعالىٰ الذي يَتْلوه التَّالي بصَوتِهِ، ويَكتبه الكاتِب بالمِدادِ علىٰ الورقِ، فصرَّحَ الحافظ ابنُ حجر علىٰ أنَّ أفعالَ العِبادِ مَخْلوقَةٌ، وأنَّ كلامَ اللهِ غير مَخْلوق.

وفي الآياتِ والأحاديثِ التي تَقَدَّم ذِكرُها دَليل لِمَا قَالَهُ الحافظ ابن حجر، وفِيها أَبْلغ رد علىٰ ما ذَهَبَ إلَيهِ المُؤلِّف، وشَيخُه الكَوثَري؛ فلتُراجَع.

وقَبْلَ الخِتامِ أرجو أنْ يَتأمَّلَ أبو غُدَّة ما نَقَلتُهُ عن الإمام أحمد، والبُخَاريِّ، وغَيرِهِما من أكابِر العُلماء الذين تقدَّم ذِكرهم، ولعلَّهُ بعد التَّأمُّل يُراجِع الحقَّ، ويَطرح الآراءَ المُخالِفة لِمَا كان علَيهِ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة.

وهذا آخِرُ ما تيسَّر إيرادُهُ، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ.

وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّد، وعلىٰ آله، وأصحابِهِ، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوْم الدِّين.

وكَتَبَهُ الفَقير إلىٰ اللهِ تعالىٰ

حِمود بن عبد اللهِ بن حِمُود التويجِري

في ٢٩/ ١٢/ ١٤٠٢هـ